حركة التحرير الوطني
الفلسطيني
(فتح)

# أضواء
# على الاستراتيجية الصهيونية

(1)

دراسات استراتيجية

# أضواء على الاستراتيجية الصهيونية

## التنسيق بين الاستعمار والصهيونية:

وهنا كان من الضروري أن يحدث التنسيق بين الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية ضمناً، كي لا تتكرر أخطاء عدوان 1956 وقد بدأ هذا التنسيق يأخذ صفة الجدية مع مطلع عام 1967 والتي كان من أبرزها زيارة وزير خارجية إسرائيل لبريطانيا في فبراير 1967، حيث تم خلالها العديد من الاتصالات السياسية والاقتصادية لتبادل الرأي حول السياسة السوفيتية الراهنة في منطقة الشرق الأ وسط واستعراض نتائج النزاع المصري السعودي بشأن قضية اليمن، وانسحاب بريطانيا من الجنوب العربي وعدن، وضرورة تمكين مصر من الدخول إلى الجنوب العربي بعقائدها الثورية وما يمثله ذلك من أخطار.

وتلا ذلك مباشرة بفترة قصيرة الانقلاب العسكري في اليونان، الذي أطاح بحكومة "بباندريو" والذي كانت المخابرات المركزية الامريكية من ورائه. كان هذا الانقلاب وبالصورة التي حدث به دليلاً على أن السياسة الأمريكية بدأت تتحرك في منطقة شرق البحر الأبيض، وكان واضحاً أن هدف الولايات المتحدة الأمريكية هو تأمين الجناح الشرقي لحلف الأطلنطي توطئة لأحداث مقبلة في المنطقة.

ثم جاء عدوان 5 يونيو 1967 بضرب الاستعمار والصهيونية ضربتها، مستخدمين في ذلك الكيان الصهيوني كأداة لتحقيق أهدافه (1). وقد انتهت المعركة بالنتيجة المعروفة التي انتهت بها وسط تكهنات عن اشتراك الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة في دعم هذا العدوان من الناحية العسكرية وكان من ابرز الادوار في ذلك دور سفينة التجسس الأمريكية "ليبرتي" التي كانت قريبة من مسرح العمليات، وتلك الاشاعات عن اشتراك المتطوعين والطيارين والطائرات الأمريكية في العمليات الجوية أو على الأقل عمل مظلة جوية دفاعية فوق الكيان الصهيوني.

إلا أنه من المسلم به أن الكيان الصهيوني قد أثبت في هذه المعركة تفوقه الاستراتيجي والتعبوي والتكتيكي، بصرف النظر عن الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري من الدول الا ستعمارية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

وإذا كان للهزيمة التي حلت بنا أسبابها المباشرة، وغير المباشرة - وهي ليست موضع بحثنا في هذا التقرير - إلا أن مرحلة الصمود السياسي والاقتصادي والعسكري التي مررنا بها طيلة الشهور الخمسة عشر الماضية، لدليل على أنه من الممكن أن ننتزع المبادأة من العدو وننهي المعركة بالطريقة التي تتفق مع أهدافنا ومبادئنا والآمال التي نرجوها لأمتنا، إذا ما استوعبنا الدروس التي تعلمناها من المعركة وفترة ما بعد المعركة. وقضينا على أسباب القصور في جبهتنا، وهذا يستدعي مراجعة عامة لخطنا الاستراتيجي والتأكيد على الفكر الاستراتيجي الذي كان العدو ظاهر التفوق فيه، مما أتاح له الانتصار في المعركة العسكرية.

## مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية:

الحرب ظاهرة في حياة الجنس البشري وهي قديمة قدم الإنسان نفسه فطالما توجد مصالح متناقضة في المجتمع الإنساني كلما ظلت الحرب إحدى الوسائل للقضاء على هذا التناقض كما يقول "ماو تسي تونج".

والحرب في حقيقتها صراع بين ارادتين حيث يهدف كل طرف من طرفي النزاع أن يفرض ارادته على الطرف الآخر، أو الوصول إلى النتيجة الحاسمة بخلق واستغلال وضع يؤدي إلى تفتت معنويات العدو بشكل كاف يجبره على قبول الشروط المفروضة عليه.

والتباين في ظروف وطبيعة الحروب سواء كانت حروباً دولية أو استعمارية أو أهلية أو ثورية أو وطنية تتطلب بالتالي تبايناً في القوانين الأساسية التي تحكم سير هذه الحروب. ومهمة الاستراتيجية في هذا هي دراسة القوانين اللازمة لتوجيه دفة العمليات التي تؤثر على وضع عسكري شامل بينما التكتيك هو دراسة القوانين اللازمة لتوجيه العمليات ذات الصفة الجزئية أو هو فن استخدام الأسلحة في المعركة.

والاستراتيجية ليست عقيدة واحدة جامدة ولكنها أسلوب عملي في التفكير يسمح بترتيب الأحداث حسب أهميتها، واختيار أكثر الوسائل الملائمة فاعلية. فلكل موقف استراتيجية معينة تنسجم معه، قد يكون اختيار هذه الاستراتيجية أو تلك صحيحاً في ظروف معينة وغارقاً في الخطأ في ظروف أخرى، وفي هذه الفكرة تكمن الحقيقة الاستراتيجية الأساسية وليس المقصود بالوسائل هنا الوسائل العسكرية فقط، فإن الحرب أصبحت شاملة لكل مظاهر الحياة العسكرية فهي تجري في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية والدبلوماسية والعسكرية، وهكذا لا نستطيع أن نقول أن الاستراتيجة اليوم بمستوى الاستراتيجية السابقة، الأمر الذي يظهر بكل وضوح مشكلة العلاقات بين السياسة والاستراتيجية وأهمية فهم المجال الخاص بكل منهما، ونتج عن ذلك أن الاستراتيجة لم تعد مقصورة على العسكريين بل أصبحت فناً وعلماً يزاوله الجميع، وهي لا تقوم على أساس التجربة الفردية كما كان يحدث في الماضي حيث كانت الحرب لعبة الملوك والأمراء، ولكنها اليوم عمل كبير يحمل في طياته الكثير من الأخطار الجسيمة.

وإزاء التقدم العلمي والتكنولوجي في عصرنا الحالي والذي يقوده سباق الأسلحة النووية، لم يعد الكثيرون ينظرون إلى الفن والعلم الاستراتيجيين النظرة الصحيحة واعتبروهما من الأشياء القديمة التي عفا عليها الزمن، بل ان كثيراً من المفكرين العسكريين يرون أن التكتيك يسبق الاستراتيجية وليس العكس. وأن التكتيكات المختلفة وتراكم خبرات الحروب هي أساس نشأة علم الاستراتيجية وهي التي تحدد منحى التفكير الاستراتيجي.

## الفلسفة والاستراتيجية:

وبالرغم من الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية الكبيرة التي يجتازها عالم اليوم والتي يحاول فيها البعض أن يفهموا ما يجري حولهم والتأثير عليه وتوجيهه، فما زالت أهمية الفكرة العامة والمحرك المشترك "الفلسفة الاستراتيجية" مادتين مهمتين رغم أهميتهما القصوى في هذه الظروف. اذ أن انعدام الفكرة العامة أو الفلسفة قد يدفعنا إلى السير حسب الرياح المعادية، معترضين لهجمات الفلسفات الأخرى دون أن نتمكن من فهم طبيعتها وأهدافها، كما أن فقدان الاستراتيجية الصحيحة يجعلنا عاجزين عن فهم مناورات العدو الرامية إلى تحطيمنا وتوجيه جهودنا دائماً إلى طريق مسدود.

لذلك فإن الدراسات الفلسفية والاستراتيجية أصبحت من الأهمية بمكان في عصرنا الحاضر،

ويجب أن يأخذا قسطهما الوافر من الاهتمام. فهي الطريق الذي يمكننا من تفهم ومعرفة الأحداث التي تحيط بنا وتساعد على حل كثير من المشاكل التي تواجهنا، فبعد أن كان الإنسان يحاول معرفة ما يريد عن طريق التأمل المجرد أو التجربة الحسية، اهتدى إلى الأسلوب العلمي منهجاً للمعرفة. والمنهج العلمي قائم على أساس أن الوجود وكل ما فيه يخضع في حركته لقوانين حتمية معروفة أو قابلة للمعرفة، وأن معرفة تلك القوانين واستعمالها استعمالاً صحيحاً، يمكن الإنسان من توقع الأحداث المقبلة من ناحية وأن يؤثر في تلك الأحداث ويفرض ارادته على المستقبل من ناحية أخرى. على هذا الأساس أصبح للتخطيط مبرره. وعلى هذا فإن نشأة علم الاستراتيجية هو تطبيقة للمنهج العلمي في شؤون الحرب، لذلك أصبح من الضروري أن تكون غاية استراتيجية تحدث على أسس علمية وأن تكون قادرة على استيعاب الامكانيات بأسلوب علمي وأن تكون قيادة النضال قيادة علمية.

إن الاستراتيجية العلمية للنضال السياسي ضرورة لازمة لتحقيق النصر النهائي لأن البديل عن الاستراتيجية كأسلوب علمي هو الأسلوب التجريبي. والتجربة قد تصيب فتكسب وقد تخيب فتخسر ولكنهما كسب وخسارة في كفتي الميزان. والنتيجة النهائية ليست نصراً على أي حال خصوصاً ، إذا كان النضال التجريبي يواجه قوى تلتزم الأسلوب العلمي. وبهذا يكون من السهل استدراج غير الملتزمين باستراتيجية ثابتة إلى مواقع الهزيمة من خلال إغرائهم بانتصارات تكتيكية محددة ومؤقتة.

## مدارس الفكر الاستراتيجي:

وقد ظهرت عدد مدارس للاستراتيجية، ولكنه بالرغم من تعدد أنواعها تبعاً لمياديين العمل والامكانيات المتاحة إلا أننا نجد أن الاستراتيجية الشاملة تقع على قمة هذه الاستراتيجيات وتخضع مباشرة لتوجيه الحكومة كجهاز سياسي للدولة وواجب هذه الاستراتيجية هو فهم وتحديد سير الحرب الشاملة ، ويتلخص دورها في تحديد المهام الخاصة لمختلف الاستراتيجيات العامة السياسية والاقتصادية والدبلوماسية وتأمين توافقها، فمن المعروف أنه توجد استراتيجية عامة عسكرية هدفها تحقيق التناسق بين العمليات البرية والجوية والبحرية. ولكنه من الضروري أن يكون هناك مفهوم للاستراتيجية العامة في المجال السياسي تنقسم إلى خط سياسي وعمل داخلي وعمل خارجي ودعاية. وفي المجال الاقتصادي تنقسم إلى انتاج وتمويل وتجارة خارجية وكذلك الحال بالنسبة للمجال الدبلوماسي.

وقد نالت الاستراتيجية الشاملة حظاً كبيراً من الدراسة والبحث لدى المفكرين العسكريين إلا أننا نجد خلافات ظاهرة في آراء هؤلاء المفكرين وهذا يرجع إلى ظروف تطبيق هذه الاستراتيجية وإلى العقيدة السياسية التي يؤمن بها المفكر نفسه. وقد لخص ذلك الجنرال (اندريه بوفر) قائد القوات الفرنسية في عمليات السويس عام 1956 في الآتي.

"كلوزفتسكي) يضع ثلاث قواعد رئيسية هي:

a) تجميع القوى.

b) عمل القوى ضد القوى.

c) الحل الحاسم عن طريق المعركة في الميدان الرئيسي على قدر الإمكان وباسلوب المعركة الدفاعية الهجومية.

"ليدل هارت" يرى القواعد التالية:

a) إجبار العدو على بعثرة قواته بواسطة الاقتراب غير المباشر.

b) المفاجأة بالقيام بعمل غير متوقع.
c) عمل القوي ضد الضعيق.
d) البحث عن الحل الحاسم في ميادين العمليات الثانوية إن أمكن.

ويحدد "ماوتسي تونج" ست قواعد هي:
a) الانسحاب أمام تقدم العدو.
b) التقدم نحو العدو المتراجع.
c) استراتيجية واحد ضد خمسة.
d) تكتيك خمسة ضد واحد.
e) التموين من ممتلكات العدو نفسه.
f) أهمية التلاحم بين الجيش والشعب.

ووضع "لينين" و "ستالين" ثلاث قواعد رئيسية:
1. تلاحم معنوي بين الشعب والجيش في حرب شاملة.
2. أهمية حاسمة للجبهة والخطوط الخلفية.
3. ضرورة القيام باعداد نفسي قبل البدء بعمليات عنيفة.

تتخلص المدرسة الاستراتيجية الأمريكية الحديثة في قاعدتين هما:
- ردع متدرج.
- رد مرن.

وقد وضع هذه الا ستراتيجية الجنرال الأمريكي "مكسويل تايلور" وتبناها الرئيس الأمريكي الراحل "جون كنيدي" وتعطي هذه الاستراتيجية لدول حلف الأطلنطي مجالاً للرد على أي هجوم محتمل برد يبدأ من الضغط السياسي ثم يتصاعد حتى يصل إلى الهجوم الذري.

## أنواع الإستراتيجية:

من هنا يمكننا ارجاع الفكر الا ستراتيجي إلى استراتيجيتين أساسيتين هما الا ستراتيجية المباشرة والا ستراتيجية غير المباشرة. ويتوقف استخدام كل منهما على ظروف كل بلد تبعاً لنظامه السياسي والاجتماعي والعقيدة التي يؤمن بها والامكانيات المتاحة والمتوفرة له. فإذا نظرنا إلى الحرب

بيننا وبين الكيان الصهيوني ومن هم وراء هذا الكيان نجد أنها حرب بين عقيدتين( 2 )[1] وينتج عن ذلك أن يستخدم كل طرف الاستراتيجية التي تتفق مع ظروفه وامكانياته، فإسرائيل تتبنى الاستراتيجية الأمريكية التي تؤمن تفوق المعدات على الأفكار، والتي تنبع أساساً من مبادئ "كلوز فسكي" الاستراتيجي الألماني المعروف الذي يؤمن "بالحل الحاسم عن طريق الانتصار في المعركة" أو "تحطيم معنويات العدو بواسطة النصر العسكري" أي باستخدام "الاستراتيجية المباشرة" ومن المعلوم أن موشي ديان (قضى فترة في فيتنام مع القوات الأمريكية عام 1965 ليدرس هذه الاستراتيجية). إلا أن هذا النصر ليس ضرورياً دائماً وهو في بعض الحالات صعب وغير ممكن، بينما تستطيع بعض الوسائل الأخرى الوصول إلى النتيجة الحاسمة إذا ما أرجعت المشكلة إلى مناخها الحقيقي وهو "نفسية العدو" وقد أثبتت "الاستراتيجية المباشرة" أنه لا يمكن الوصول إلى النتيجة الحاسمة إلا إذا كانت الامكانيات العسكرية تسمح بتحقيق نصر عسكري كامل وسريع. ولا يمكن تحقيق هذا الشرط إلى في لحظات تطور واستمرار التكتيك والعمليات. أما في الفترات الفاصلة بين هذه اللحظات الملائمة فإن هذه الاستراتيجية تضع أمام المهاجم خصوماً يستعيدون توازنهم بعد الضربة الأولى ويقفون امامه بعناد

ويعطينا التاريخ العسكري أمثلة عن قصور مثل هذه الاستراتيجية عن تحقيق النصر النهائي في المعركة. فمن الأمثلة على ذلك ثبات جبهة الحلفاء في نهاية عام 1984 في الحرب العالمية الأولى، وعجز النصر الألماني في أوروبا عام 1940 عن اجتياز بحر المانش في الحرب العالمية الثانية، وفشل العسكريين الفرنسيين في تحطيم مقاومة الشعب الجزائري واضطرارهم إلى التراجع بعد حرب تحرير دامت أكثر من سبع سنوات، ولعل ما حدث في فيتنام حيث واجه فيها شعب فيتنام أكبر قوة عسكرية في التاريخ وهي الولايات المتحدة الأمريكية التي عجزت عن تحقيق أي نصر حاسم في المعركة.

وهذا يمثل نفس الوضع الحالي بالنسبة للقوات الإسرائيلية التي وصلت إلى الضفة الشرقية لقناة السويس وإلى نهر الأردن وعجزها عن تحقيق أي نصر حاسم واضطرارها إلى استخدام تكتيكات جديدة تختلف عن تكتيكات حرب الأيام الستة "الاستراتيجية غير المباشرة".

ومن ناحية أخرى نجد أن الاستراتيجية غير المباشرة تقوم على أساس تأجيل العمليات إلى أن يسمح تفكك العدو المعنوي بتوجيه الضربة القاضية إليه بسهولة، أو كما أوضحنا قبل ذلك بأن "يتم الوصول إلى النتيجة الحاسمة بخلق واستغلال وضع يؤدي إلى تفتت معنويات العدو بشكل كاف يجبره على قبول الشروط المفروضة عليه" أو باعتناق نظرية الحرب الشاملة ذات الطابع الاجتماعي.

وتتضمن هذه الاستراتيجية في مجال العمليات العسكرية، عدم مجابهة العدو في اختبار مباشر للقوة، كما تتضمن عدم الاقتراب منه إلا بعد إزعاجه ومفاجأته، وبعد زعزعة توازنه باقتراب غير متوقع منه تقوم به من اتجاهات غير متوقعة.

والواقع أن مناورة الاقتراب غير المباشر هي وسيلة تفرض نفسها على أحد الخصمين المتنازعين إذا كان لا يثق ثقة تامة بأن من القوة بحيث يستطيع التغلب على خصمه في معركة تنشب على أرض يختارها عدوه.

وقد أصبح لهذه الاستراتيجية غير المباشرة أهيمة خاصة ومجالات عمل متسعة في الظروف الحالية بسبب وجود السلاح الذري وبسبب ظهور حركات التحرر الوطني لتصفية الاستعمار، كما أنها أصبحت بالغة التعقيد ورهيبة الفاعلية، وتتميز بصفات ماكره مخادعة لأنها أصلاً غير مباشرة، ولأنها تأخذ طابعاً مميزاً في تحديد حرية العمل الخاصة بها وعلى هذا تبدو الاستراتيجية غير المباشرة على أنها فن معرفة أفضل يستخدم لنظاق حرية العمل الضيق الذي يتفادى وسائل الردع الحديثة، والحصول بواسطته على انتصارات حاسمة رغم التحديد، والتحديد القياسي أحياناً للوسائل العسكرية التي يمكن

استخدامها فيه.

وتتطلب الاستراتيجية غير المباشرة قوى معنوية هائلة تتطلب اندفاعاً حماسياً وتلاحماً كبيراً داخل صفوف الشعب وفي قلب الروح الوطنية، وهي تستخدم في الحالات التي يكون فيها ميدان حرية العمل عنيفاً وكبيراً ولكن الوسائل المتوفرة والامكانيات المتاحة ضعيفة لا تكفي للحصول على نتيجة عسكرية حاسمة.

هذه الاستراتيجية تعرف باستراتيجية الصراع الطويل الأمد وهي لا تؤدي إلى النجاح إلا إذا كانت قيمة الهدف الذي يتم الصراع من أجله متفاوتة بالنسبة للخصمين تفاوتاً كبيراً (الصراع بين العرب من جهة والاستعمار والصهيونية من جهة أخرى) وهي ترمي إلى اتعاب العدو وإنهاكه معنوياً قبل توجيه الضربة الأخيرة إليه وقد تكون الوسائل المستخدمة بدائية ولكن أساليب استخدامها تجبر العدو على بذل جهد أكبر بكثير مما يستطيع أن يتحمله إلى مالا نهاية. ويستخدم هذا النوع من الصراع الشامل الذي يتصف بطول أمده وضعف حدته في حروب التحرير ويؤدي غالباً إلى نتائج ناجحة. وبمعنى آخر ان الاستراتيجية غير المباشرة هي تلك التي تستهدف الحصول على حل حاسم بوسائل مختلفة غير وسيلة الانتصار العسكري غير أنه يجب أن يكون واضحاً أنه بدون القوة فلن تكون هناك استراتيجية. ويتعلق اختيار الوسائل بمقارنة نقاط العدو الحساسة مع امكانياتنا الحقيقية لذلك يجب تحليل التأثير المعنوي الحاسم ومعرفة من هو العدو المطلوب قهره؟

ومن أهم الوسائل في هذا الاتجاه اقناع حكومة العدو بعدم الجدوى في استمرار الحرب، وقد يكون من الأسهل في بعض الحالات العمل والتأثير مباشرة على الزعماء مع استخدام الحجج التي تؤثر عليهم أو التأثير بشكل غير مباشر على هذا الجزء أو ذلك من الرأي العام الذي يستطيع الضغط على الحكومة نفسها، أو التأثير على حكومة محالفة لها نفوذ كثيرة لدى حكومة الأعداء أو على هيئة الأمم نفسها. وعندما يكون النصر العسكري الكلاسيكي مثلاً بعيد المنال كثير الأخطار، يستحسن اختيار وسيلة أخرى تعتمد على الثورة لتجتذب أنظار العالم وتجبره على التدخل أو القيام بعمل ثوري كاف لتغيير الحكومة أو اتخاذ اجراءات سياسية واقتصادية معينة أو الاندفاع في حرب عصابات طويلة مدعومة بضغوط عالمية (كحرب التحرير الفيتنامية أو الجزائرية).

أما إذا كان العمل العسكري ضرورياً، فما هو هدفه؟ وهل يجب تدمير القوات المسلحة المعادية؟ وهل هذا أمر ممكن؟ وإذا لم يكن ممكناً فهل يعني النجاح المحلي؟ واين يجب أن يتم هذا النجاح؟ وما هي القوات التي يجب استخدامها؟ وفي أي منطقة تكون النتيجة حاسمة؟ هل يجب احتلال عاصمة العدو؟ أم أن احتلالها عمل زائد بلا جدوى؟ وهل يكفي التهديد بتدميرها للضغط على العدو واجباره على التسليم؟... الخ. فإذا ما وضعنا التحليل بعمق أكبر استطعنا تحديد وسائلنا القادرة على تحقيق النتيجة الحاسمة المطلوبة. وعلينا أن نتوقع ردود فعل العدو المحتملة أمام كل فعل نقوم به، واتخاذ التدابير لنصد كل رد فعل منها، وقد تكون ردود الفعل عالمية او وطنية، معنوية أو سياسية أو اقتصادية أو عسكرية، ومن الضروري تأمين توافق أعمالنا المتعاقبة مع إمكانياتنا في ترتيب قادر على متابعة تنفيذ المخطط رغم مقومات العدو.

ومما لا شكّ فيه أن الاستراتيجية غير المباشرة في حاجة إلى عقل واضح ورأي سديد كي تكون القرارات سليمة ودقيقة. كما أنها بحاجة لإرادة صلبة كافية لمتابعة الجهد في اتجاه الهدف المختار كما أنها تتضمن عدة قواعد أساسية تؤمن نجاحها واستمرارها وقد تتدخل قواعد وأساليب هذه الاستراتيجية مع قواعد وأساليب الاستراتيجية المباشرة وذلك حسب ظروف الزمان والمكان والامكانيات المتاحة. وقد تبدأ الحرب باستخدام الاستراتيجية المباشرة وتنتهي باتباع الاستراتيجية غير المباشرة او العكس.

## قواعد الاستراتيجية غير المباشرة:

يشتمل العنصر الأول في الاستراتيجية غير المباشرة على تحديد نطاق حرية العمل الذي يستطيع الحد من أي نتيجة، كما يتضمن التأكد من امكانية المحافظة على هذا النطاق أو توسيع مداه، بينما يضيق نطاق الأمن الذي يتمتع به الخصم إلى أقصى ما يمكن، وعلى هذا تتبع عدة قواعد معينة لتحقيق هذا العنصر أهمها:

### 1. ""المناورة الخارجية""

من المعروف أن الحوار بين أي خصمين متنازعين يتحول إلى صراع للحصول على حرية العمل. إلا أنه من الأمور الأساسية في الاستراتيجية غير المباشرة، أن حرية العمل لا ترتبط بالعمليات التي تحدث في المنطقة المحددة بل تستند في غالبيتها إلى عوامل خارجة عن هذه المنطقة كتقدير ردود الفعل الدولية والإمكانيات المعنوية للخصم وحساسيته اتجاه ما يواجهه من أعمال أو حساسية للضغوط الخارجية... الخ. وينتج عن ذلك أن إمكانية هذا العمل ونجاح العملية محكومان بنجاح المناورة في الساحة العالمية، وهذا ما يطلق المناورة الخارجية، بمعنى أن أساس المعركة ينشب خارج أرض القتال لا فوق هذه الأرض، ولذلك فهي تستعين لتحقيق أهدافها بكل الوسائل السياسية والاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية، وتتعدد الطرق والوسائل في هذا المجال مثل إبراز أهمية احترام الأشكال الشرعية للشق الداخلي والدولي، إبراز أهمية القيم الأخلاقية والإنسانية ومن أن العدو لا يقدرها أو يحترمها، إعطاء الخصم فكرة سيئة عن معركته مع جعله يشك بالمبدأ الذي تستند إليه قضيته، خلق معارضة لجزء من الرأي العام العالمي ضد مبرراته وأسانيده وذلك يخلق حلف معنوي ينضم إليه المؤيدون لوجه نظرنا في ذلك.

ويمكن استغلال هذا المناخ في الأمم المتحدة مثلاً أو في الاجتماعات الدولية الأخرى ومحاولة فضح ما يبيته الخصم من أعمال تحت أي شكل من أشكال التهديد أو التنفيذ.. الخ.

إلا أنه من غير الممكن استخدام كل هذه الوسائل بفاعلية إلا إذا تحقق شرطان أساسيان ""أولهما"" أن توجد القوة العسكرية الكافية لشل أي ردود فعل من قبل العدو. "وثانيهما" أن تكون كل الأعمال التي نقوم بها داخلة ضمن إطار خط سياسي اختير بصورة مناسبة ليشكل كلاً متماسكاً، آخذا بعين الاعتبار الاتجاهات النفسية السائدة والتطلع إلى السلم وقضية تصفية الاستعمار، وهدف رفع مستوى الحياة الاجتماعية.. الخ مع التنبوء بكل الانعكاسات الممكنة للخصم، والاستعداد لكل أعمال المجابهة الملائمة. وبذلك يشكل هذا الخط السياسي خطة عمليات نفسية حقيقية معدة بنفس قوة ودقة خطط العمليات في الاستراتيجية العسكرية.

### 2. ""المناورة الداخلية""

يعد ضمان الحصول على امكانية حرية العمل إلى حد ما يصبح من الضروري تقرير المناورة التي سنجريها على المساحة الجغرافية التي نريد الحصول فيها على بعض النتائج. وهذا ما يطلق عليه اسم ""المناورة الداخلية"" وهنا تبرز ثلاث عوامل قد تبدوا متعارضة إلا أنها متكاملة وهي: القوى المادية والقوى المعنوية وعامل الوقت، فإذا كانت القوى المادية متفوقة بكثير على قوى الخصم وقد تكون القوى المعنوية أقل ، فمن الممكن أن تكون المناورة قصيرة جداً. أما إذا كانت القوى المادية صغيرة جداً، فمن الضروري أن تعوض بقوى معنوية كبيرة جداً وفي هذه الحالة تكون المناورة طويلة بالضرورة وبذلك يظهر

نوعان من المناورات الداخلية:

- الأولى ويطلق عليها مناورة الحرشوفة، وهي تقوم على أساس تحقيق هدف جزئي بسرعة كبيرة بالاستفادة من حرية العمل الخارجية التي يمكن الحصول عليها، وبفضل تفوق القوى المادية (القوات) ثم التظاهر بالتوقف قبل القيام بعملية أخرى. بمعنى أن هذه المناورة تحقق على مراحل وأهداف متتالية وبوثبات متعاقبة تبدو متواضعة نسبياً يتخللها فترات توقف أو مفاوضات بهدف الخداع، أي تحقيق ""أمر واقع"" لا جدال فيه بسرعة ويمكن لهذا الأمر الواقع أن يشكل أساساً لمفاوضات مقبلة. وعلى هذا يجب أن تصمم هذه المناورة في غارة كبرى أساسها المفاجأة والسرعة والأعمال الخاطفة التي تنتقل من الأقوى إلى الأضعف مستغلة في ذلك القوة وعامل المفاجأة. مثل هذه الأعمال تعتمد على القوات المنقولة جواً والقوات المدرعة، وتحتاج إلى تحضير كامل شامل في كل الميادين، مع مراعاة أن يكون الهدف محدوداً بصورة كافية حتى يكون مقبولاً من الرأي العام العالمي.

  وقد طبق هتلر هذا النوع من المناورة الداخلية في الفترة من عام 1936 إلى عام 1939 (عمليات احتلال منطقة الراين والنمسا وتشيكوسلوفاكيا) كما تستخدم إسرائيل حالياً هذا النوع من المناورة.

- الثانية ويطلق عليها المناورة بالاعباء: وهي تستهدف بلوغ الهدف وغالباً ما يكون هاماً - لا بانتصار عسكري، بل بتغذية النزاع أو الصراع وتصعيده بطريقة منظمة ليكون ثقيل الحمل على الخصم تدريجياً. وهي تهدف إلى إرغام خصم قوي بدرجة كبيرة إلى قبول شروط غالباً ما تكون قاسية دون مواجهته إلا بوسائل محدودة جداً، وفي هذه المناورة يجب أن يعوض ضعف القوى العسكرية بتفوق متزايد في القوى المعنوية وبالتالي تزداد حدة العمل (الوقت) أكثر فأكثر. وهكذا تطورت العملية في وقت واحد على مستويين، المستوى المادي للقوات العسكرية والمستوى المعنوي للعمل النفسي.

**"الخطة المادية"**

وهي تعتمد أساساً على استقرار البقاء وبالتالي استمرار المعركة وذلك برفض القتال واستخدام تكتيك الإزعاج للمحافظة على استمرار وجود النزاع ، وهدا يؤدي الى حرب العصابات ، هدا النوع من الحرب الذي أدخل عليه الكثير من التعديلات الاستراتيجية الهامة التي تسمح بقيادة هذا النوع من العمليات بمفاهيم جديدة تزيد من فاعليته بصورة هائلة، تقلل إلى حد كبير من عدم توازن القوى المادية، ولعل من أكبر منظري ومطبقي هذا النوع من الحروب (ماوسي تونغ) الذي وضع عدة قواعد سبق بيانها وتقوم بعد ذلك "حرب العصابات" على أساس مفهومين لتأمين حرية عمل العصابات:

- أولهما: ضمان الحصول على المعلومات اللازمة من السكان المدنيين وضمان دعمهم لأعمال العصابات، وفي الوقت نفسه ردع هؤلاء السكان من إمداد العدو بمعلومات عن قوات العصابات.

- وثانيهما: توسيع التهديد بالعصابات أفقياً على مساحات كبيرة بقدر الامكان، دون ارغام العدو مع ذلك على الانسحاب إلى مراكز قوية تزداد صعوبة مهاجمتها تدريجياً لحماية عدد متزايد من النقاط، مما يكون له أثر كبير في تعديل التوازن العملي القائم بين القوات الموجودة.

ولو أن حرب العصابات ليست حاسمة بحد ذاتها إلا أنها من المؤكد عظيمة الأهمية لإنهاك العدو

وتبديد قواه لحين توجيه الضربة القاضية ، إليه بل انه من الممكن أن تكون هذه العصابات نواة لقوات نظامية او شبه نظامية إذا ما استطاعت أن تتمركز في مناطق ملائمة لها خصوصاً إذا كانت تتلقى العون من قواعد خارجية، لهذا من الواجب العناية بقوات العصابات وتدعيمها وتطويرها بصورة دائمة حتى يستمر ضغطها ويصبح متزايدا على قوات العدو.

## "الخطية النفسية"

وهي تعتمد أيضاً على استمرار البقاء وبالتالي استمرار المعركة لهذا فمن الضروري أن تكون القوى المعنوية للمقاتلين ولأفراد الشعب على مستوى عال باستمرار. كما لا بد من إجبار الخصم على الإذعان والخضوع مرغماً نتيجة الإعياء الذي يصيبه، ومن هنا يصبح العمل النفسي أساسياً لاستثمار النتائج المحققة في هذا المجال. والعمل النفسي يستند إلى عنصرين رئيسيين، الخط السياسي وانتقاء التكتيك النفسي.

## أولاً: الخط السياسي الأساسي:

وهذا يجب أن يكون على تناسق تام مع الخط السياسي الملائم للمناورة الخارجية، ويكون قادراً على تعبئة الميول الخفية للشعبة المراد تحريكه لصلح المعركة (النواحي الوطنية والقومية والدينية والاجتماعية ... الخ) مع توجيه هذه الميول بطريقة تؤكد عدالة القضية التي يراد دعمها.

## ثانياً: التكتيكات النفسية:

وهي تعني استخدام أساليب معروفة في الدعاية والعقائدية وفي تنظيم الشعب وتعبئته فكرياً وسياسياً ولا بدّ أن يكون معروفاً بصورة خاصة في مثل هذا النوع من الحروب أن النجاحات الوحيدة هي النجاحات النفسية فالأعمال المادية لا قيمة لها إلا من ناحية قيمتها في رفع المعنويات وفي الارتفاع بهيبة الشعب وهيبة المقاتلين ومن ناحية أخرى إذا لم يكن هناك نجاحات أو انتصارات أو كانت هذه الانتصارات محدودة فإن استخدام وسائل الدعاية لتضخيم هذه الانتصارات قد يستطيع التعويض عنها. ويكون ذلك بالقدر الذي لا يفقد الثقة في أي انتصارات كبيرة. كما أنه إذا كان الخط السياسي يلتزم بشيء كبير من الجدية فمن الممكن أن تكون الدعاية مختلفة كل الاختلاف على الصعيد الخارجي وعلى الصعيد الداخلي.

## خلاصة:

ان الاستراتيجية غير المباشرة ليست استراتيجية خاصة متميزة عن الاستراتيجية المباشرة بالرغم من كل مظاهرها الخاصة. إلا أن مفتاحها الحقيقي هو حرية العمل الذي يعتمد أساساً على المناورة الخارجية وهي الميزة الخاصة التي تعطيها الطابع غير المباشر كما أنه من الضروري أن يجري العمل الحقيقي للاستراتيجية غير المباشرة ابتداء من الأعمال التمهيدية التي تسبق كل حدث فإذا جرى العمل غير المباشر بعد مستوى التمهيد فإنه يصبح متأخراً، كما يلعب العامل النفسي دوراً حاسماً، لأن الغرض هو استبدال القوة المادية الدافعة بقوة أيديولوجية مبنية بصورة جيدة، واستبدالها أيضاً بقوة التوحيد بين مختلف القوى، هذه القوى الناتجة عن حساب عاقل ودقيق، أي أن العقل يحل محل القوة، إلا

أن القوة ضرورية لاستثمار الأوضاع التي خلقتها المناور النفسية التي تعتمد عليها الاستراتيجية غير المباشرة كما أن من الضروري الفصل بين السياسة هي الأعلى والاستراتيجية تحتها لأننا بهذا الشكل نحترم تسلسل المهام والاهتمامات ونحافظ على وحدة التفكير الخاصة لكل مستوى من هذين المستويين. كما يصبح من الضروري بالنسبة للاستراتيجية أن تكون الاستراتيجية المباشرة هي العليا وفيها تمثل القوة عاملاً أساسياً، او تكون الاستراتيجية غير المباشرة تحتها حيث يتضاءل دور القوة أمام الدور النفسي والدور التعاوني لكل العوامل الأخرى. إلا أن استخدام هذه الاستراتيجية أو تلك يتوقف كما سبق القول على ميدان العمليات وعلى القوى المادية والقوى المعنوية وعامل الوقت.

## الاستراتيجية الصهيونية:

إن البحث عن جذور الفكر الصهيوني والإطار الفكري والتخطيطي للأعمال العدوانية الإسرائيلية يردنا إلى أصول هذه الفكرة وركائزها ومفاهيمها وأهدافها، وهنا لا بدّ من التفريق بين مرحلتين: مرحلة ما قبل سنة 1897 حيث كانت الصهيونية في طور التكوين الفكري، ومرحلة ما بعد سنة 1897 عندما اتخذت الحركة الصهيونية شكلها التنظيمي، وأصبح للفكرة أداة تعمل بشكل دائب لتحقيق غايات هذه الحركة كما رسمها المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة "بال" السويدية في ذلك العام، والذي انبثقت عنه "المنظمة الصهيونية العالمية". كما صدر عنه برنامج عمل يعتبر التخطيط الاستراتيجي للحركة الصهيونية فحدد أهدافها الثابتة وخطوطها الاستراتيجية والتكتيكية وأدواتها ووسائل تحقيقها البشرية والمادية.

ومن الأمور التي توضح دقة هذا التخطيط أن "هرتزل" مؤسس الحركة الصهيونية حدد خمسين عاماً لقيام "دولة اليهود" وقد تحقق هذا بالفعل بالفترة ما بين انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897 وقيام إسرائيل حسب قرار التقسيم عام 1947.

وهذا تطلب منا دراسة النهج الذي سارت به استراتيجية الحركة الصهيونية والأساليب التي اتبعتها، لأنه من الواضح أن التغيير الذي أصاب الحركة وسياستها في أعقاب تطورات عام 1948 الحاسمة لم يستتبع تبدلاً جوهرياً في النهج الصهيوني ولم يأت بأي تجديد في طريقة العمل، فقد نتج عن تطورات عام 1948 انقلابان جذريان في الصهيونية دون أن يكون هناك تغيير مواز في نهجها.

أما الانقلاب الأول فهو تحول الحركة الصهيونية العالمية إلى دولة قائمة تتبعها وتدين لها بالولاء جماهير من رعايا دول أخرى.

وأما الانقلاب الثاني فقد تناول جوهر وظيفتها وسياستها فقد كانت الوظيفة الرئيسية للحركة الصهيونية قبل عام 1948 هي السعي لقلب الأوضاع الراهنة في فلسطين. أما بعد عام 1948 وقيام إسرائيل فقد أصبحت وظيفة الحركة الصهيونية هي المحافظة على الوضع الجديد والتشبث به والدفاع عنه.

## العوامل المحددة لامتداد رقعة إسرائيل:

ويتضح من قراءة محاضر المؤتمرات الصهيونية ومقرراتها وخططها ومن نشاط قادة الحركة الصهيونية وأفكارهم ومذكراتهم وأعمالهم من "هرتزل" و "وايزمان" و " بن جوريون" وأخيراً "ليفي اشكول" و "موشي ديان" إن العوامل الأمنية كانت تتحكم في تفكيرهم فيما يتعلق بمساحة الأرض بحدود إسرائيل وامتدادها الجغرافي:

1. إن إقامة دولة إسرائيل هي الحل المنشود للمشاكل اليهودية في العالم.

2. إن الدولة اليهودية في إسرائيل هي تعبير عن القومية اليهودية وتجسيد لها ولما كان كل يهودي ينتمي إليها بحكم يهوديته فلا بدّ لها أن تكون بالقدر الذي يستوعب جميع أبناء الأمة اليهودية.
3. إن فلسطين هي أرض دولة إسرائيل التاريخية الدينية، وإن فلسطين هي ملك لليهود بحكم النشأة التاريخية للأمة اليهودية هناك وبحكم ارتباط الدين اليهودي بالأرض المقدسة.
4. إن فلسطين هي أرض اليهود الموعودة في الكتب المقدسة لدى اليهود والمسيحيين ويجب أن تشمل جميع الأماكن التي تحرك فيها اليهود والأماكن التي أقامت فيها القبائل العبرية في الماضي.
5. إن دولة إسرائيل في فلسطين يجب أن تتمتع بمقومات الدولة القادرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي الاقتصادي والقوة العسكرية. ويجب أن تمتد بحيث تشمل مصادر القوة والأرض الواسعة والمياه الضرورية للزراعة والصناعة، والمراكز الاستراتيجية التي تضمن السيطرة الدفاعية والهجومية على الأراضي المجاورة.
6. إن دولة إسرائيل يجب أن تكون قادرة على إسداء خدمات للدولة الإمبريالية التي ترعى قيامها كنوع من المكافأة مقابل الخدمات المبذولة لتمكين اليهود من إقامة دولتهم. وقد تم ذلك بالنسبة لبريطانيا في أعقاب الحرب العالمية الأولى حتى اشتراكها في العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 ثم تبدل الوضع بعد ذلك لمصلحة الولايات المتحدة الأمريكية خدمة للمصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط.
7. كما أن هناك عامل هام، وهو تأثير قادة الصهيونية العالمية بالنزوع نحو الآراء والمخططات الاستعمارية، ذلك النزوع الذي كان يسيطر على تفكير السياسيين وبناء الإمبراطوريات في أوروبا وقت قيام الحركة الصهونية.

ويمكن رد دوافع المطامع الصهونية التوسعية إلى عاملين رئيسيين هما:

### 1. ضغط الفكرة أي العامل العقائدي

إن الدوافع العقائدية للتوسع الصهيوني تنبع من صميم العقيدة الصهيونية، ومن صلب الحل الصهيوني "للمشكلة اليهودية" وترتبط ارتباطاً وثيقاً بأسباب اختيار فلسطين ومطالبتهم بها على أساس أنها "الوطن القومي" التاريخي "للشعب اليهودي" وقد ربط ذلك كلمة الحركة الصهيونية بمطلبين أساسيين لم تتخل عنهما هذه الحركة في يوم من الأيام ولن ولا تتخلى عنهما بأي حال من الأحوال:

- الحصول على ما يسمى "بأرض إسرائيل".
- إعادة "الشعب اليهودي" إلى أرضه التاريخية لأن الحياة في "المنفى" أي خارج فلسطين مخالفة للدين اليهودي وللحياة القومية الطبيعية للشعب اليهودي.

إن الدافع العقائدي للتوسع والعدوان عامل محرك وهام في تاريخ الصهيونية، ولا يجب الاستهانة بأهمية العامل وخطورة دوره. فالأعمال الصهيونية من أساسها قائمة على عامل الفكرة وإرادة تحقيقها، ولا يمكن فهم أعمال الصهيونية وإسرائيل فهماً صحيحاً كاملاً ولا يمكن إدراك نواياها وخططها السياسية والعسكرية والنفسية خارج الإطار العقائدي، فالفكرة المحركة التي أوجدت إسرائيل، وبررت جهود الصهيونية العالمية التي بذلتها من أجل إيجادها والمحافظة عليها هي نفس الفكرة المحركة دوماً، والمحرضة ابداً على التوسع والعدوان.

## 2. الحاح الواقع أي الضرورات الاقتصادية والعسكرية

### أ- الناحية الاقتصادية:

من يمعن النظر في جغرافية الأرض المحتلة وحاجات إسرائيل الزراعية ومشاريعها لجلب أعداد إضافية من اليهود. وأثر تكثيف السكان في بقعة صغيرة من الأرض مع الاعتبارات العسكرية والاستراتيجية يدرك أنه لا يوجد أمام إسرائيل سوى طريقين لا ثالث لهما لحل هذه المشكلة.؟

1. التوسع المباشر عن طريق احتلال أراض عربية خصبة بعد طرد سكانها منها.
2. تعمير النقب بواسطة جر مياه الأنهار العربية التي تنبع وتجري وربما حتى التي تصب في الأراضي العربية المجاورة، على أن يترك موضوع التوسع الكبير عن طريق الاحتلال والضم إلى ظروف أكثر ملائمة في المستقبل القريب أو المتوسط ولكن المياه ليست العامل الاقتصادي المضاغط الوحيد للعدوان والتوسع، فالتجارة الإسرائيلية وكسر طوق الحصار الاقتصادي العربي عامل آخر لا يقل أهمية عن عامل السيطرة على مصادر المياه. وفي ذلك يقول "بن جوريون" عام 1951 ".... سوف نبني ميناء إيلات وسوف نؤمن حرية المرور إلى المحيط الهندي وذلك بقوة البحرية الإسرائيلية وسلاح الطيران والجيش". ب - "الناحية العسكرية"

ليس غريباً أن تولي الصهيونية الناحية العسكرية اهتماماً كبيراً ورئيسياً نظراً لأن إسرائيل دولة غاصبة معتدية، ونظراً لتصميم الشعب الفلسطيني والأمة بأسرها على سحق العدوان الصهيوني واستعادة الحق العربي السليب في الأرض المحتلة، تصميم مصيري لا يحتمل المساومة أو التجاهل.. وسوف نولي هذه الناحية مجالا أوسع في مكان آخر من هذا البحث.

## "المرحلية في الاستراتيجية الصهيونية"

إن من أهم الأساليب التي تستخدمها الاستراتيجية الصهيونية في تحقيق أهدافها الأسلوب المرحلي الذي يعتبر اللون الغالب في لوحة الصهيونية ، والأسلوب المرحلي يعني أن الصهيونية حددت للوصول إلى غرضها النهائي عدة أهداف مرحلية، يرتبط تحقيق كل هدف منها بإمكانيات وقدرات الحركة الصهيونية في كل مرحلة وباستعراض هذه المراحل نلاحظ الآتي:

عام 1907 عقد المؤتمر الصهيوني الأول و الذي تحدد فيه برنامج العمل وعام 1907 ظهور فكرة "الصهيونية التوفيقية" التي ربطت بين العمل الدبلوماسي والاستعمار الاستيطاني وهي الفكرة التي تبناها (وايزمان) كما أنه تم في هذا العام الالتقاء بين الحركة الصهونية العالمية وحركة الاستعمار العالمي (تقرير كامبل بزمان).

- عام 1917 صدور وعد بلفور.
- عام 1927 اعترفت سلطات الانتداب البريطاني بمشروعية المنظمات والأجهزة اليهودية في فلسطين.
- عام 1937 صدور الكتاب الأبيض البريطاني الذي اقترح تقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية.
- عام 1947 صدور قرار التقسيم من الأمم المتحدة، وقيام إسرائيل في مايو سنة 1948.
- عام 1958 المكاسب التي حصلت عليها إسرائيل نتيجة العدوان الثلاثي بمرور السفن الإسرائيلية

في خليج العقبة.

- عام 1967 العدوان الاستعماري الصهيوني على البلاد العربية.

## مبادئ فكرة المرحلية:

تقوم فكرة المرحلية في نظرية العمل على تفاعل أربعة مبادئ هي:

- أولاً: الواقعية التي تعيق الحد الأقصى لما تطالب به الحركة الصهيونية في كل ظرف، طبقاً لأوضاعه وإمكانياته. فالتقدير الواقعي للموقف الموضوعي - لا الأهداف والرغبات أو العواطف الصهيونية - هو الذي يقرر نوع الطلب ومداه، وهو الذي يقوّم العرض فيحكم بقبوله أو بالسعي لتعديله أو برفضه.

وتقدير الواقع الموضوعي يعني مقارنة العوامل المختلفة وتقدير الطاقة الصهيونية الذاتية دون تجاهل نواحي القصور فيها ثم إعطاء أهمية العامل الزمني في هذا كله وبالموازنة بين القليل الذي يمكن الحصول عليه اليوم والأكثر منه الذي يمكن الحصول عليه بعد ذلك.

- ثانياً:"" المرونة"" ومعناها تقديم الجوهر على الشكل وتقديم الغاية على الوسيلة وتقديم المعنى على اللفظ. وهي بالتالي تكييف الشكل أو الوسيلة أو اللفظ وفق ضغط الواقع وإمكانياته وقيوده في سبيل الحصول على الجوهر المنشود.

- ثالثاً: اللا تراجع الذي يعيين الحد الأدنى للمطالب الصهيونية في كل ظرف وكثيراً ما خاض مبدأ "اللا تراجع" معارك مع مبدأي "الواقعية" و "المرونة" وكانت الغلبة دائماً لمبدأ "اللا تراجع" في تاريخ الصهيونية، إلا في حالات قليلة حينما تمكنت القوى المضادة من إرغام الصهيونية على التراجع.

- رابعاً: التصاعد عندما تستنفذ الحركة الصهيونية كل ما سعتْ إلى استنفاذه في مرحلة ما من مراحل عملها من الاتفاقات التي عقدتها أو الوعود التي أصدرتها في مطلع تلك المرحلة، تشرع في التطلع بجد نحو المرحلة التالية.

والمتتبع لمسار الحركة الصهيونية يمكنه ملاحظة تطبيق هذه المبادئ وتفاعلها فيما بينها، وان تبدل السياسة الصهيونية بين بداية فترة ونهايتها، وانتقال الحركة الصهيونية من موقف القبول بالهدف الجزئي والرضاء بالقيود والشروط والاقتراحات التي ترافقه، إلى موقف التمرد عليها والمطالبة بهدف أوسع ليس من باب التطور غير المتوقع في البدء، وإنما هو من باب التنفيذ الدقيق لخطة مرسومة ومحسوب حسابها سابقاً. فالمرحلة الصهيونية لها صفات مميزة أهمها الثبات في رؤية الهدف وضرورة الوصول إليه، والتشبث به هو الذي يفرض المرحلية طريقاً إليه. وهي تعني اما العمل على بلوغه فوراً أو الرضوخ للواقع المحدود الإمكانيات واستبدال الهدف الأكبر الذي لا يمكن بلوغه آنياً بهدف جزئي بديل عنه أو التدرج نحوه في مرحلية منتظمة تسمح بالتقدم دوماً ولكن لا تسمح بالتراجع أو التوقف.

## علاقة الدبلوماسية بالمرحلية:

وعلى هذا الأساس تتخذ الدبلوماسية الصهيونية بعض الأساليب التي تمهد للانتقال من مرحلة إلى أخرى و هي:

- أولاً: تزييف المعنى الأ صلي للاتفاقات السابقة المراد استبدالها، بحيث تدعي أن الاتفاقات الجديدة المطلوبة لا تتخطى ما تضمنته الاتفاقات السابقة.
- ثانياً: الانتقال المستمر بين المطالبة باستعمال النص الحرفي للاتفاقات السابقة كأساس لتفسيرها، وبين الدعوة إلى اعتماد النية التي تزعم الصهيونية أنها كانت وراء ذلك النص، وذلك حسب مقتضيات مصلحتها الآتية.
- ثالثاً: الذبذبة بين إسناد الصفة الإلزامية القاطعة إلى بعض الاتفاقات أو القرارات عندما يناسبها ذلك، وإنكار تلك الصفة عن بعض الاتفاقات أو القرارات الأخرى الشبيهة بها من جميع الوجوه، وفقاً لما تتطلبه مصلحتها في كل حال.
- رابعاً: تحديد معاني الألفاظ والعبارات السياسية الحاسمة في الاتفاقات القائمة، تحديداً يغير معنى هذه الاتفاقات ومداها تغييراً جذرياً.
- خامساً: اختلاق اتفاقات لم تعقد أصلاً، والادعاء بأنها اتفاقات قائمة وملزمة وبأنها تعطي الحركة الصهيونية حقوقاً مشروعة وتلقي على الأطراف الأخرى واجبات قانونية معينة.
- سادساً: إن الدبلوماسية الصهيونية لا تتورع عن قطع تعهدات رسمية بعيدة المدى على الرغم من أنها تعتزم على النكث بها عندما تسمح الظروف بذلك.

وإذا كانت الحركة الصهيونية قد تمسكت بمنهجها الرئيسي رغم الظروف التي مرت بها فليس من المحتمل أن تشهد في المستقبل أي تحول عن هذا الطريق وما دام الأمر كذلك فإن تعرفنا على منهاج وأساليب الحركة الصهيونية طيلة السبعين سنة الماضية، قد يكون في الوقت نفسه تعرفنا على ما يمكن أن يحدث في المستقبل.

## ""برنامج العمل الصهيوني""

يتكون برنامج العمل الصهيوني من عدة عناصر متكاملة تشكل فيما بينها الا ستراتيجية الصهيونية العامة التي تحرك البرنامج بأكمله وتحرك كلا من عناصره تحريكاً منتظماً في توقيته واتجاه مداه، والتي انحصرت مهمتها الأولى في قيام "دولة اليهود" وهي إسرائيل، ثم تحقيق المهمة الثانية بنفس الطريقة والأسلوب لضمان استمرارها وإزدهارها كما قال "هرتزل" في كتابه "لتعط لنا السيادة على رقعة من الأرض تفي بحاجاتنا القومية الحقه، ونحن نتكفل بما يتبقى".

## وتتكون الاستراتيجية الصهيونية من العناصر الآتية:

العمل الدبلوماسي - عمليات الا ستيطان أو الا ستعمار الا ستيطاني - التنظيم - الأ موال اللا زمة للحركة - الدعاية - الأداة العسكرية. وهي العناصر الستة التي قامت عليها الاستراتيجية الصهيونية منذ قيام الحركة الصهيونية، إلا أنه من الممكن إضافة عنصر جديد آخر هو العلم والتكنولوجيا.

### 1. العمل الدبلوماسي:

لعبت الدبلوماسية دوراً هاماً في الاستراتيجية الصهيونية منذ قيام الحركة وفي مطلع تاريخها بالاتصالات التي حدثت للاعتراف بالحركة والحصول على تأييد الدول الكبرى لها حتى أمكنها أن تستخلص توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين عام 1947. وبعد قيام الدولة الصهيونية في العام التالي قامت الدبلوماسية بأداء وظائف جديدة ناشئة عن الأوضاع الجديدة، فكان عليها أن تخوض معركة الاعتراف الدولي الثنائي، ومعركة الاعتراف الدولي الجماعي المتجسدة في الانتساب إلى عضوية الأمم المتحدة بعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين في مايو سنة 1948. ثم لمواجهة المسائل المتعلقة بعد قيام دولة اليهود مثل قضية القدس واللاجئين وقضية تثبيت الحدود والرقابة على خطوط الهدنة... الخ من القضايا التي كانت مثارة قبل عدوان يونيو سنة 1967 ولم يقتصر عمل الدبلوماسية في هذا النطاق فقط بل تعداه إلى الوضع الاقتصادي وأهمية استمرار تدفق المساعدات من الخارج - لا من الصهيونيين واليهود فقط بل من الدول التي تناصر الحركة الصهيونية وتستفيد من بقائها ونموها ثم أيضاً مسألة سلامة الدولة وأمنها في وجه أعداء الدولة الصهيونية بالسلاح وتعهدات بالحماية العسكرية، كان أولها البيان الثلاثي الصادر عام 1950 وآخرها حتى الآن البيان الأمريكي الصادر عام 1967.

لهذا احتلت الدبلوماسية مكاناً بارزاً في برنامج العمل الصهيوني في جميع مراحل تطور الحركة الصهيونية إلا أن الملاحظ دائماً أن الحركة الصهيونية منذ نشأتها حتى وقتنا الحاضر (تطلب شرطاً أساسياً هو الحصول على العون من إحدى الدول الكبرى والاتفاق معها على مساعدة الحركة وحمايتها) فقد حاولت الاستعانة بألمانيا القيصرية في الفترة قبل 1897 ثم ببريطانيا حتى صدور قرار التقسيم عام 1947، ثم بالولايات المتحدة منذ قيام إسرائيل وحتى وقتنا الحالي. كما كانت الدبلوماسية الصهيونية تعتمد أساساً على الناحية السياسية في تحقيق أهدافها وذلك كما جاء في أقوال "هرتزل" من "أن المسألة اليهودية مسألة سياسية لا تتم معالجتها معالجة ناجحة حاسمة إلا بالوسائل السياسية وعلى نطاق دولي".

### 2. عمليات الاستيطان أو الاستعمار الاستيطاني:

وهي تشمل عمليات تدريب اليهود المهاجرين واستقدامهم إلى فلسطين وإقامة المنشآت لهم من اقتصادية على اختلاف أنوعها، وإدارية وتربوية وصحية وعسكرية وغيرها... ويرتبط هذا النوع من الاستيطان بالعمل الدبلوماسي الصهيوني بحيث يمكن اعتبارها عمل واحد مزدوج. فقد كان أسلوب العمل عند نشأة الحركة الصهيونية هو انفصال العملية عن بعضها البعض أو تلاحقهما، فقد تصور "هرتزل" هذين العملين وكأنهما مرحلتان متعاقبتان، تقوم الأولى وتكتمل ثم ينتهي دورها، وبعد ذلك فقط تبدأ الثانية، وبمعنى آخر فإن "هرتزل" أخطأ حين تصور أن العمل الدبلوماسي يجري وينجح ويتم في معزل عن العمل الاستعماري الاستيطاني، وأن هذا الأخير يبدأ بعد اختتام المرحلة الدبلوماسية، ويمضي في طريقه وهو في غير حاجة مستمرة إليها. لكن الواقع يختلف عن هذه الصورة، فإن العمل الدبلوماسي والعمل الاستعماري الاستيطاني عملان متفاعلان، وإن تفاعلهما المستمر هو الذي يدفع بالصهيونية في حركة متصاعدة، وقد تبنى هذا الأسلوب من العمل المزدوج "حاييم وايزمان" وأقرته المنظمات الصهيونية في مؤتمر عام 1907 وعلى الصعيد العملي لهذه الطريقة تمكن "وايزمان" من تحقيق معظم انتصارات الحركة الصهيونية الدبلوماسية، فهو الذي حصل على وعد بلفور عام 1917، واستطاع أن يُدرج هذا الوعد في صلب صك الانتداب البريطاني على فلسطين، ويحبط الكتاب الأبيض البريطاني الصادر سنة 1930، كما لعب الدور الرئيسي في إقناع اللجنة الملكية باقتراح مشروع التقسيم عام 1937، كما اقنع تشرشل عام 1944 بتشكيل الفيلق اليهودي من المستوطنين اليهود في فلسطين. كما أقنع بعد ذلك "ترومان" بإبقاء

النقب ضمن حدود الكيان الصهيوني ثم الاعتراف بدولة إسرائيل بعد ذلك.

وعلى هذا يمكننا القول أن العمل الدبلوماسي في عرف الحركة الصهيونية توأم للعمل الاستعماري الاستيطاني. وأن تفاعلهما الدائم يقوي كل منهما في حد ذاته وينشطه ويزيد من نصيبه في النجاح. ويلاحظ أن الكيان الصهيوني تستخدم حالياً هذا الأسلوب من العمل المزدوج في احكام سيطرته على مدينة "القدس" رغم معارضة أغلبية الدول لهذه السيطرة، وفي إنشاء المستعمرات اليهودية في الأراضي العربية المحتلة بالضفة الغربية، والأردن، والمرتفعات السورية وبعض أجزاء شبه جزيرة سيناء.

**وتنطوي هذه الفكرة على خمسة مبادئ هي:**

- **أولاً:** إن المساعي الدبلوماسية لا يقدر لها النجاح في الحصول على الوعود والاتفاقات الدولية إلا بقدر ما يسبقها من عمل إنشائي صهيوني على أرض فلسطين.
- **ثانياً:** إن الدبلوماسية، حتى حين تكلل جهودها بالنجاح، تظل الاتفاقات الناجمة عنها مجرد اطارات خاوية ما لم يقم المحتوى المادي اللازم لها وهو الاستعمار الاستيطاني.
- **ثالثاً:** العهود والاتفاقات السياسية التي تنجح الدبلوماسية الصهيونية في الحصول عليها، تظل تحت رحمة المصادر الأجنبية ما لم تقترن فوراً بالإنجازات الفعلية التي تستطيع أن تثبتها وتصونها.
- **رابعاً:** إذا استتبع العهود أو الاتفاقات السياسية التي تحصل عليها الحركة الصهيونية عن طريق العمل الدبلوماسي، نشاط استيطاني منظم، فإن الحقوق المكتسبة بموجب تلك الاتفاقات تاتي بطريقة لا يؤثر فيها النكث بالوعود أو نقض الاتفاقات.
- **خامساً:** حينما تتم الإنجازات العلمية على أساس اتفاقات سياسية دولية، فإنها ستخلق أوضاعاً جديدة يمكن الانطلاق منها إلى المطالب باتفاقات جديدة تعطي للصهيونية شروطاً أفضل، وحرية أكبر وحقوقاً أبعد مدى أو ترفع عنها بعض القيود التي نصت عليها الاتفاقات السابقة.

### 3. التنظيم:

لقد تناول برنامج "بال" قضية التنظيم وذلك في المادة الثانية منه والتي نصت على "تنظيم اليهود جمعاء، وربطهم معاً، بواسطة المؤسسات الملائمة من محلية ودولية كما نص قرار المؤتمر الأولى على إقامة "المنظمة الصهيونية العالمية" وصفاتها الرئيسية".

### 4. الأموال اللازمة للحركة:

وقد تولى المؤتمر الصهيوني الثاني عام 1898 إنشاء أول جهاز من أجهزتها وهو "البنك اليهودي الاستعماري" والذي تبعته فيما بعد أجهزة أخرى، كالصندوق القومي اليهودي "الكارن كايمت" وغيرها، ومن المعروف حالياً أن حوالي ستين في المائة من الأموال السائلة في بنوك العالم أموال يهودية.

### 5. الدعاية:

من المعروف أن الدعاية تلعب دوراً بارزاً في الاستراتيجية الصهيونية العامة فهي تقوم بدورها في كافة المجالات والقطاعات وبالأساليب التي تتفق مع طبيعة وظروف هذه المجالات والقطاعات وليس هناك شك في أن زعماء الصهيونية بذلوا جهوداً كبيرة من أجل تعبئة الرأي العام العالمي وراء برامجهم وأهدافهم، واستخدموا في ذلك أساليب الدعاية المختلفة ووسائلها، فالدعاية الصهيونية لم تترك أسلوباً إلا واتبعته بغض النظر عن مشروعيته أو عدم مشروعيته، فهي تتلون حسب الجمهور الذي تخاطبه وتتحرك بين المواقع الأيديولوجية المتباينة وتستغل عدم توافر وسائل الإعلام التي تدحض المزاعم الصهيونية في توجيه الرأي العام العالمي الوجهة التي تريدها لتحقيق أهدافها.

وقد احتلت الدعاية محور تفكير الصهيونيين الأوائل، فنصت المادة الثالثة من برنامج عمل الحركة الصهيونية على "تقوية وتنمية العاطفة والوعي اليهوديين القوميين" كما أصدر "هرتزل" قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الأولى مجلة "ذي فلت" (العالم) التي أصبحت في بعد المجلة الرسمية الناطقة بلسان الحركة الصهيونية. وقد تطورت أهداف وأساليب ووسائل الدعاية الصهيونية بتطور الحركة نفسها، ولعبت دوراً إيجابياً في تحقيق أطماع الصهيونية إذا كانت سلاحاً لطمس كل حق عربي، ولم تكتف بهذا بل انها ما زالت تقوم بدور فعال في تدعيم الوجود الإ سرائيلي، وإضفاء الشرعية على العدوان الصهيوني الاستعماري.

## أهداف الدعاية الصهيونية:

### أ- في الخارج:

تتنوع الدعاية الصهيونية حسب المجتمعات التي توجه إليها، فهي تخاطبها بالطريقة التي تتلائم مع ظروفها السياسية والاجتماعية. فهي تهدف مع الدول الرأسمالية إلى الآتي:

- الحصول على القروض والإعانات والمساعدات الاقتصادية.
- حماية الكيان الصهيوني ووجوده وأنه ركيزة النظام الرأسمالي في منطقة الشرق الأوسط.
- تنظيم حقوق الجاليات اليهودية، وتلقينها مبادئ الصهيونية حتى تبعدها عن كل حركة تناهض الصهيونية العالمية.
- تحويل أكبر قدر من رؤوس الأموال للاستثمار في اسرائيل.
- عزل كل نشاط عربي وإحباطه.
- تنشيط تهجير اليهود إلى إسرائيل.
- تدعيم إسرائيل سياسياً واقتصادياً وعسكرياً باعتباره واجهة النظام الرأسمالي الغربي في منطقة الشرق الأوسط.
- إفهام الرأي العام الغربي خصوصاً في الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية بأن إسرائيل هي واحة الحرية والديمقراطية والتقدم في صحراء التخلف العربي.
- إبراز قضية معاداة السامية كلما حاق باليهود أي خطر.

**أما بالنسبة للدول الحديثة الاستقلال في آسيا وإفريقيا:**

**فهي تبدي ما يلي:**

- عزل الدول الحديثة الاستقلال عن المعسكر الاشتراكي وعن دول عدم الانحياز.
- ضمان وخدمة مصالح الدول الغربية الرأسمالية دون أن تثير شبهة الدول النامية.
- الحد من النشاط العربي، واختراق الحصار الاقتصادي العربي، وفتح أسواق واسعة أمام منتجات إسرائيل، وإيجاد روابط قوية مع هذه الدول.
- الاستعانة بالدول النامية في المجالات السياسية والاقتصادية وإقناعها بسلامة موقف إسرائيل في فلسطين. وفي سبيل ذلك تقوم بتقديم المعونات الفنية والمادية والمنح الدراسية لهذه الدول.
- عزل الدول العربية وحركاتها عن الثورة الإفريقية.
- نشر الدعاية القوية ضد الجمهورية العربية المتحدة واتهامها بأنها استعمارية عدوانية.
- ان يشارك إسرائيل أو تكون أداة للاستعمار الجديد في عمليات النهب الاستعماري التي لا زالت تجري حتى الآن في إفريقيا وآسيا.

**وتهدف الدعاية الصهيونية في العالم العربي إلى:**

- أهمية التعايش بين العرب وإسرائيل، تارة بالترغيب وأخرى بالتهديد.
- إفساد العلاقات بين البلاد العربية بالتشكيك في نوايا حكامها تجاه بعضهم البعض. وإقناع الحكام بخطر الفكرة القومية العربية عليهم.
- تشجيع اليهود العرب للهجرة إلى إسرائيل خصوصاً من شمال إفريقيا.
- وتركز الدعاية الصهيونية على الجمهورية العربية المتحدة أساساً للتشكيك في النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي بها.

ولم تغفل الدعاية الصهيونية عن توجيه دعايتها إلى العالم المسيحي ممثلاً في الفاتيكان بالآتي:

- تدعيم الصلة بين المسيحية واليهودية.
- إبراز وتدعيم صلة اليهود بالأرض الفلسطينية باعتبارها مفاهيم دينية ورثتها المسيحية.
- تنقية التراث الغربي من فكرة مسؤولية اليهود عن قتل السيد المسيح.

## أساليب الدعاية الصهيونية:

مخاطبة مراكز القوى في المجتمع أولاً. وبذل الجهود المتواصلة للتأثير عليها وكسبها في صفها، وبذلك يمكنها بالتالي التأثير على الرأي العام وكسب تأييده. مع العمل في الوقت نفسه على إسكات كل صوت معادي بين الجماعات المؤثرة أو النخبة المحدودة التي توجه وتقرر السياسة العامة.

عدم فتح موضوع قضية فلسطين إلا للرد على ما يمكن أن تطرحه الدعاية العربية. ويكون الرد في هذه الحالة هو أن إسرائيل تريد السلام مع العرب.

تعتمد مخاطبة الرأي العام من خلال نقاط حساسة تسهل لهم الاستجابة لدعايتهم. كمخاطبة الزنوج والكاثوليك في أمريكا باعتبارهم أقلية مضطهدة وأن ما ينطبق عليهم ينطبق على إسرائيل في العالم العربي. ومخاطبة المتعصبين البيض في أمريكا باعتبار أن إسرائيل تمثل حضارة ومدنية الجنس الأبيض في الشرق الأوسط، كما تقنع العناصر الليبرالية بأن إسرائيل هي قلعة الحرية والديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط وممثلة للحضارة العصرية وهكذا.

محاولة إظهار التجربة الإسرائيلية على أنها مثيل لتجارب عديدة أخرى وعرض هذه التجربة على الدول الأخرى. ويستخدم هذا الأسلوب مع الدول النامية وإظهار إسرائيل بأنها دولة صغيرة كافحت الاستعمار البريطاني وكسبت استقلالها بعد نضال ضده وأنها بلد ناشئ فقير ولكنه استطاع في فترة وجيزة أن يبني حياته من جديد. وأن مصلحة الدول النامية أن تستفيد من خبراتها وخطواتها وأخطائها لتصل في أقصر وقت إلى نتائج أفضل.

إدخال عناصر لا علاقة لها بالقضية الفلسطينية ولكنها تهدف إلى جعل الشعوب نفسها طرفاً في النزاع العربي الإسرائيلي متحيزاً لإسرائيل مثل إيهام الشعوب الغربية أن العرب في طريقهم إلى الشيوعية. كما يعمدون إلى تشويه صورة العرب في أذهان الشعوب الإفريقية بزعمهم أن العرب تاجروا بالزنوج وجعلوهم عبيداً ويريدون اليوم السيطرة عليهم وذلك بعكس إسرائيل التي تقوم برسالة إنسانية.

إثارة الحملات الدعائية وتكرارها لتحقيق هدف معين ولتحويل الأذهان عن سلوك يدين إسرائيل، مثل إثارة اضطهاد النازية لليهود في عدة مناسبات أو إثارة موضوع حرية الملاحة في الممرات المائية أو اضطهاد الأقلية اليهودية في البلدان العربية وغيرها من الأساليب.

## وسائل الدعاية الصهيونية:

علاوة على وسائل الإعلام المعروفة من صحافة وكتب وإذاعة وتلفزيون وسينما حيث تسيطر العناصر الصهيونية في معظم البلاد الغربية على هذه الوسائل، فإن إسرائيل تقدم وسائل أخرى أهمها:

- الاتصال المباشر.
- الاجتماعات والندوات.
- المساعدات الفنية والمنح الدراسية وغيرها للشعوب النامية.
- الدعاية السياحية.
- المعارض الدولية.

- اتصالات الهستدروت بالمنظمات الدولية.
- الاشتراك في المؤتمرات والأحزاب الاشتراكية الدولية.
- النشاط الذي تقوم به منظمات الشباب (الناحال والجدناع) بالاتصال بالمنظمات الشبابية للدول الأخرى.

**أما الدعاية الصهيونية داخل إسرائيل فتهدف إلى:**

تستهدف الدعاية الصهيونية تحويل الارتباط الفكري بين معتنقي الصهيونية وبين فلسطين - هذا الارتباط القائم على شعور ديني وتاريخ قديم - إلى ارتباط واقعي مع شيء محسوس هو أرض فلسطين. لذلك فهي تعمل على:

- تنمية وتقوية العاطفة والوعي اليهوديين القوميين.
- حث المهاجرين وتشجيعهم على الاستقرار في إسرائيل.
- خلق نوع من الانسجام بين جميع الذي يقدمون إلى إسرائيل من المهاجرين.
- صهر الأقلية العربية في المجتمع الصهيوني وحملها على التنازل عن عروبتها وكل ما يشبهها إلى قوميتها العربية مع العمل على توزيع جهودها كي لا يقوم أي تكتل بينهما.
- تصوير العرب بصورة الهمجية والوحشية والتهويل بنواياهم العدوانية، وأن أي تراخ في سياسة العنف نحوهم قد يكون فيه خطر الإبادة الجماعية لشعب إسرائيل.
- غرس وتنمية الروح العسكرية في أفراد الشعب حيث أصبحت الصبغة العسكرية تغلب على طابع المجتمع الإسرائيلي.
- القيام بشن غارات إرهابية على القرى العربية في مناطق الحدود بهدف:
  - المحافظة أمام الشعب على صورة إسرائيل العسكرية المنتصرة.
  - اثبات تفوق إسرائيل العسكري.
  - ازدياد ثقة الشعب بقدرة إسرائيل على إزالة الخطر العربي وإجبار العرب على قبول السلام.

إن موضوع الدعاية الصهيونية أمر بالغ الأهمية والخطورة سواء في أهدافها أو أسلوبها أو وسائلها، وهي أحد الأركان الأساسية التي تعتمد عليها الاستراتيجية الصهيونية العامة لتحقيق أهدافها. ومن الضروري أن تقوم أجهزتنا المتخصصة بدراستها والعمل على مواجهتها واستغلال نقاط الضعف فيها بمعنى أن تكون دعايتنا قائمة على أساس تخطيط علمي مدروس.

## الأداة العسكرية:

إن الإدارة العسكرية الا ستراتيجية الصهيونية تعتبر أهم عنصر لتحقيق أهداف هذه الا ستراتيجية. ولم يكن استخدام هذه الأداة وليد أحداث عام 1948 كما يتصور البعض بل انها كانت تستحوذ على التفكير الاستراتيجي الصهيوني منذ بدء الحركة الصهيونية. فإننا نجد في مفكرة "هرتزل" التي نشرت صفحات مختارة منها بعد وفاته بسنوات ولم تنشر بكاملها الا عام 1860م وأشارت إلى وجوب إنشاء التشكيلات العسكرية اللازمة مع خطبه ومراسلاته ومنشوراته العلنية التي لم تنشر، بصدد العمل العسكري، إلا إلى إقامة جيش كفاحي لحراسة حدود الدولة بعد إنشائها. أما التشكيل الفعلي للمؤسسات العسكرية الصهيونية فلم يبدأ إلا عام 1907 عندما تأسست "هاشومير" كوحدات حرس دفاعي عن المستعمرات اليهودية في فلسطين، وكان "لابن جوريون" (الذي لم يقض على مهاجريه إلى فلسطين آنذاك سوى عام واحد) دور رئيسي في خلقها.

وهذا يوضح لنا العلاقة الوثيقة التي قامت بين الا ستراتيجية العسكرية والسياسية باعتبار أن الاثنتين تعتبران وجهين لحقيقة واحدة في تخطيط الاستراتيجية الصهيونية.

وبدون الدخول في دراسة تفصيلية عن تطور هذه الإدارة العسكرية في هذا البحث إلا أنه يمكن القول أن هذا التطور سار وفق تطور أهداف الحركة الصهيونية ولخدمة أهداف مرحلية .... ففي الحرب العالمية الأولى تكونت الوحدة اليهودية لخوض الحرب مع الحلفاء في الشرق الأوسط لتكون أداة للمساومة مع بريطانيا لقيام الوطن القومي إلى جانب خلق الجندي اليهودي الذي يستطيع عند الحاجة خدمة أهداف الصهيونية في فلسطين وإزاء ازدياد التوتر بين العرب واليهود في فلسطين في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، تكونت "الهاجاناه" عام 1925 بهدف تأمين الاستعمار الاستيطاني في فلسطين ولمواجهة حركة المقاومة العربية. وقبيل الحرب العالمية الثانية حدث انشقاق داخل "الهاجاناه" وظهرت منظمة "الارجون تسفاي لئومي" التي اتخذت سياسة الإرهاب ضد كل من العرب وسلطات الانتداب، وفي عام 1940 انشقت جماعة من "الا رجون" أطلقت على نفسها جماعة شتيرن نسبة إلى زعيمها "ابراهمام شتيرن" وكانت هذه الجماعة تتكون من مجموعات إرهابية وجهت نشاطها الأساسي إلى القيام باغتيال الشخصيات التي تعارض الأماني اليهودية في فلسطين ( مقتل اللورد موبين في القاهرة عام 1941).

وإزاء سوء الموقف العسكري للحلفاء بعد هزيمة فرنسا عام 1940 وولاء قواتها في سوريا ولبنان لحكومة فيشي. ..... ثورة رشيد علي الكيلاني في العراق عام 1941 بدأت قوات "الهاجاناه" تشعر بحرج موقفها فشكلت قوة ضاربة مستقلة حقيقة الحركة استعداد للخطر المحدق بفلسطين، خصوصاً إزاء تقدم قوات المحور في صحراء مصر الغربية. وقد عرفت هذه القوة الضاربة باسم "البالماخ" وقد ساهمت بقسط في عمليات غزة الحلفاء لسوريا ولبنان عام 1941، واستمر تعاونها مع قوات الحلفاء حتى معركة "العلمين" وبذلك اكتسبت خبرة ومران. ودخل التفكير العسكري اليهودي مرحلة أكثر نضجاً، كما زادت الحرب العالمية الثانية من قوة اليهود في فلسطين خصوصاً أن كثيرا منهم اكتسبوا خبرة في مختلف الفروع العسكرية أثناء اشتراكهم في الحرب مع القوات البريطانية.

## جيش الدفاع الإسرائيلي:

ومع نهاية الحرب تحولت "الهاجاناه" إلى مؤسسة لها مقر قيادة وهيئة عامة للأركان بفروعها المختلفة إلى جانب تبعية "البالماخ" لها. وسارعت إلى تدعيم إمكانياتها خصوصاً بعد تجدد التوتر بين العرب واليهود بصورة جدية عام 1947 وبدأ "بن جوريون" العمل على خلق قيادة عسكرية واحدة تحت إشراف قيادة سياسية واحدة هي الوكالة اليهودية في فلسطين واستعداداً للأحداث المقبلة والتي كانت

توصي بأن بريطانيا لن تستطيع إقامة دولة يهودية في فلسطين وحدها وأن في نيتها إنهاء انتدابها على فلسطين. وما أن هل شهر أكتوبر سنة 1947 حتى كان لليهود أداتهم العسكرية الموحدة تحت قيادة مركزية واحدة. ومن خلال العمليات العسكرية التي قامت على أرض فلسطين عام 1948 تدعم الجهاز العسكري اليهودي وأعلن تكوين "جيش الدفاع الإسرائيلي" محل "الهاجاناه" ومنذ ذلك الوقت أصبح الجيش الإسرائيلي الأداة العسكرية والعنصر الأساسي لتحقيق الاستراتيجية الصهيونية العامة كما أصبح كمؤسسة عسكرية بلغت الدور الرئيسي في توجيه وتخطيط بعض نواحي السياسة الداخلية في إسرائيل، كالزراعة (ومستعمرات الناحال في مناطق الحدود) والصناعة (بالنسبة للصناعات الاستراتيجية) والتعليم والهجرة والرقابة على الصحف وغيرها من الوسائل. كما تقوم المؤسسة العسكرية الإسرائيلية بتوجيه السياسة الخارجية، لارتباط ذلك بالاستراتيجية الصهيونية التوسعية وما يستتبع ذلك من اتخاذ سياسة العنف والمبادأة في مجال السياسة الدولية عامة وتجاه البلاد العربية خاصة.

بهذا كان الاهتمام الزائد بالقدرة القتالية للقوات الإسرائيلية من ناحية التنظيم والتدريب والاستفادة من آخر تطورات العلم والتكنولوجيا في مجال التسليح، والأخذ بالأساليب التكتيكية الحديثة (استخدام الطائرات الهيلوكوبتر على نطاق واسع).

علاوة على ما لديها من جهاز للمخابرات كفوء لديه كافة المعلومات عن البلاد العربية تصل إلى أدق التفاصيل. ولعل من أهم الأمور في هذه الأداة العسكرية هو الاعتماد على قوات الاحتياط لتحقيق الأمن القومي الإسرائيلي والاختصار في وقت الهدنة والهدوء النسبي على احتفاظ بجيش عامل صغير وظيفته إعداد وملء كادرات الاحتياط بالأفراد وذلك بإرساء الأساس العلمي السليم لتعبئتها من وجهتي النظر التخطيطية والتنفيذية بما يوافق كافة العوامل المؤثرة سواء أكانت جغرافية أم بشرية أم اقتصادية أم اجتماعية أم سياسية واعتماد النظرية العسكرية الإسرائيلية على تعبئة هذه القوات وشحنها التعبوي بسرعة لتنفيذ مهام تصفوية أو تكتيكية في ميدان القتال. وهذا الموضوع بالذات بحاجة إلى دراسة عميقة من أجهزتنا العسكرية، خصوصاً إذا علمنا كما سبق القول أن إسرائيل استطاعت أن تعبئ عشرة في المائة من تعداد سكانها لمعركة يونيو سنة 1967 في فترة لم تتجاوز خمسة أيام.

ومما يؤكد الاهتمام الزائد بالأداة العسكرية الإسرائيلية قول بن جوريون عام 1964 "أننا لا نستطيع أن نجاري - من ناحية العدد - جيوش الدول العربية المجاورة، ولكن من ناحية الروح ونوعية جنودنا فليس هناك ما يمنع أن يكونوا أنداداً لأحسن جيوش العالم، بل أن كافة الأسباب تحتم أن يكونوا أكثر من أنداد لجيوش العدو... كنت سأعتبر نفسي فاشلاً في مهمتي فعلاً كرئيس للوزراء لو رضيت لرجالنا بخوض المعركة وهم مسلحون فقط بروح القتال دون أن نزودهم بأسلحة أفضل وتنظيم عسكري يتم بمزيد من الملاءمة ليواجه الشكل الحديث للعمليات الحربية المستقبلية".

## التخطيط الاستراتيجي الإسرائيلي:

ولا يقتصر أمر الاهتمام بالأداة العسكرية على هذا النحو فقط، بل ان التخطيط الاستراتيجي العسكري يأخذ دوره من الاهتمام في أعلى المستويات. فمجلس الحرب الإسرائيلي يبدأ بتحديد أوجه النقص والضعف في العدو التي يمكن استغلالها، والمدة التي ستستمر هذه العيوب سائدة فيها، ومدى ما ينتظر أن يستجد عليها. ثم يحدد المزايا ونقاط القوة المتيسرة لإسرائيل خلال نفس الفترة، وأسلوب تنميتها وزيادتها ضماناً لاستمرار الفارق النوعي أو تزايده، وبناء على كل هذه الدراسات الواقعية الشاملة يحدد مجلس الحرب الإسرائيلي الهدف الأساسي والأهداف السياسية والعسكرية لأجهزة التخطيط الاستراتيجي.

وعلى هذا ركزت إسرائيل في الجولة الأولى عام 1948 على أسلوب شن المذابح الجماعية وعمليات الإبادة لطرد السكان العرب من فلسطين، إزاء تفكك كلمة العرب وضعف تحمل جبهاتهم الداخلية. وفي عام 1953 عندما ظهر خطر الثورة المصرية عليها وما يمكن أن تؤدي إليه من آثار خطيرة على أمنها وبقائها في المنطقة، سارعت إلى تغيير أهدافها السياسية والعسكرية لتقابل الخطر الجديد، فتحولت إلى سياسة الحرب السافرة، ولما لم تكن مقدرتها العسكرية الذاتية قادرة على الحرب السافرة، ظلت تتحين الفرصة المناسبة، حتى جاءت أزمة قناة السويس فكان العدوان الثلاثي عام 1956.

ولما جاءت نتائج هذه الجولة الثانية مخيبة لآمالها، وأيقنت أن اشتراك بريطانيا وفرنسا معها كان سبب انعكاس هذه الجولة، قامت أجهزة التخطيط الإسرائيلية بتحديد الهدف السياسي العسكري الجديد للجولة القادمة، ووضعت إطار العمل المطلوب مرتكزة على نهضة تكنولوجية وتطوير نوعي لقدراتها المسلحة الذاتية وتعويض النقص فيها بمعونات أجنبية متسترة لا تكشف أي آثار لتواطؤ سياسي أو عسكري يحرمها ثمرة النجاح كما حدث في الجولة الثانية، وتحقيقاً لهذا الهدف كان على إسرائيل أن تقوي من سلاحها الجوي بحيث يكون قادر بمفرده على تحقيق المهمة عام 1967 التي قام بتحقيقها السلاح الجوي البريطاني الفرنسي عام 1956 ونالت باقي أفرع القوات المسلحة الإسرائيلية نفس الطور من التطوير والاهتمام، عدا السلاح البحري، اعتماداً على وجود الأسطول السادس الأمريكي في البحر المتوسط وما يفرضه من قيود القوات البحرية العربية.

## العوامل التي تحتم استمرار سيطرة المؤسسة العسكرية:

من كل ما سبق يتضح أن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية أصبح لها الدور الأول والرئيسي في تحقيق الاستراتيجية الصهيونية العامة. بل أصبح من المحتم استمرار سيطرتها وذلك لعاملين هامين:

- مطامع الصهيونية التوسعية لأسباب عقائدية واقتصادية وعسكرية كما سبق بيان ذلك.
- نواحي ..... الاستراتيجي في تكوين إسرائيل والتي من الضروري تأمينها وهي تمثل ...:

ضيق الرقعة الجغرافية وقلة العمق الاستراتيجي الأمر الذي لا يجعل إسرائيل قادرة على تحمل عمليات عسكرية داخل أراضيها، أو يجعلهم يسمحون بفقدان أي جزء من أراضيهم. كما أن النتوء الممتد من الأراضي الأردنية على الضفة الغربية لنهر الأردن داخل أراضي إسرائيل والذي يبعد عن البحر المتوسط مسافة 14 كيلومتر تقريباً يجعل من هذا النتوء موطن تهديد خطير وقاعدة يمكن منها فصل شمال إسرائيل عن وسطها وجنوبها.

إن حدود إسرائيل مع كل من الجمهورية العربية المتحدة والأردن حدود مفتوحة، يمكن منها توجيه ضربات حاسمة إلى أهداف جنوبية في قلب إسرائيل على عكس جذورها مع كل من لبنان وسوريا حيث توجد الحدود المشتركة بينهما وبين هاتين الدولتين في مناطق جبلية لا تناسب عمليات عسكرية حاسمة.

إن وجود الدول حول إسرائيل من الشمال والشرق والجنوب، تخلق جبهة محيطة بإسرائيل، وتجعل إسرائيل تعمل على خطوط مواصلات داخلية بينما العرب يعملون على خطوط مواصلات خارجية، الأمر الذي يحتم على إسرائيل الاحتفاظ دائماً بالمبادأة في عملياتها ضد جيرانها، مع تركيز جهودها السياسية وجهود أصدقائها من الدول الغربية لمنع قيام وحدة عربية خصوصاً بين تلك الدول التي تحيط بإسرائيل مباشرة.

ضعف القوى البشرية في إسرائيل إذا ما قورنت من الناحية العددية بالقوى البشرية العربية،

الأمر الذي يمثل ضعفاً خطيراً في الكيان العسكري الإسرائيلي والذي يؤثر في اقتصادها إذا خاضت حرباً طويلة الأجل ضد العرب، لأن مثل هذه الحرب سوف تؤثر على موقف الايدي العاملة في مجالات الانتاج والخدمات.

تحكم الدول العربية في المواصلات البحرية لإسرائيل عبر خليج العقبة وقناة السويس، الأمر الذي يؤثر على اتصال إسرائيل بأسواق شرق إفريقيا وجنوب آسيا، والتي تستورد منها إسرائيل السلع الغذائية والبترول.

تحكم الدول العربية في المصادر التي تمد إسرائيل بالمياه التي تعتمد عليها في زيادة رقعتها الزراعية.

مثل هذه العوامل والأسباب التي حتمت استمرار سيطرة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، اضطرت إسرائيل أيضاً إلى استخدام أسلوب الاستراتيجية المباشرة في صراعها مع العرب، وهي التي تعتمد أساساً على نظرية "كلوزفتس" التي تنادي "بالحل الحاسم عن طريق المعركة في الميدان الرئيسي على قدر الإمكان، وبأسلوب الحركة الدفاعية الهجومية". وقد استخدمت إسرائيل هذا النوع من الاستراتيجية في معركة يونيو 1967، حيث وجهت عملياتها الأساسية إلى الجبهة المصرية "الميدان الرئيسي" وتحقق لها بذلك الانتصار في المعركة العسكرية، وحينما لم تستطع من خلال هذه المعركة أن تكسب الحرب، فإنها تستخدم حالياً تجاه الدول العربية المحيطة بها قاعدتي الاستراتيجية الأمريكية الحديثة وهما "الردع المتدرج والرد المرن" لمواجهة الصمود العربي، وعمليات الفدائيين في الأراضي المحتلة.

وتستند استراتيجية الردع إلى العامل المادي، أي أنها تعتمد على طاقة تدمير ..... جيدة وقدرة عظيمة على الاختراق. ومن هنا يمكننا أن نفهم إقبال إسرائيل على السلاح الجوي وتزويده بأحدث القاذفات المقاتلة كما أنهم يتبعون استراتيجية "الرد المرن" الذي يتراوح بين "الرد المتكافئ" و "الرد المتفوق" أي أن يهيأ لكل عمل رداً يتلاءم معه بقوة كافية، إلا أن هذه الاستراتيجية لا تجازف إلا بكمية ضرورية من القوات، وهي لا تعني أن يكون السلوك مماثل لسلوك العدو، ولكن تعني دراسة كل حالة حسب أهميتها وطبقاً لما تستحق من الأهمية وعدم اللجوء إلى الرد الشامل إلا في آخر المطاف. والخلاصة فإن هذه الاستراتيجية تحاول أن تكون فعّالة في الرد مع الحفاظ على أن يبقى النزاع محدوداً.

## تحسن أوضاع إسرائيل الاستراتيجية بعد يونيو 1967:

ومما لا شك فيه أن اتباع إسرائيل استراتيجية "الرد المرن" يرجع إلى أن معركة يونيو 1967 أحدثت انقلاباً جغرافياً واستراتيجياً، وحسنت وضع إسرائيل الدفاعي تحسناً ظاهراً. فلم تعد هناك صعوبات جغرافية، وكما أن قواعد سلاح الطيران الإسرائيلي أصبحت أبعد عن مدى المدفعية، وأمكن لأجهزة الإنذار المبكرة أن تكون فعالة في حالة اقتراب أي طائرات معادية، كما أن امكانيات الاختراق والتقدم لجيش بري أصبحت صعبة نظراً للظروف الجغرافية الجديدة، واعتماد إسرائيل على مواقع دفاعية طبيعية (نهر الأردن بالنسبة للجبهة الأردنية، وقناة السويس ومنطقة المضايق بالنسبة لجبهة سيناء).

من ناحية أخرى نجد أن مدن منطقة القناة ومعامل تكرير البترول في السويس أصبحت واقعة في مرمى المدفعية الإسرائيلية بعيدة المدى وأصبحت المسافة بين وسط سيناء حيث القوات الجوية الإسرائيلية المتقدمة، ووادي النيل المكتظ بالسكان، أقصر عن المسافة بين وادي النيل والتجمعات السكنية والصناعية

في إسرائيل، علاوة على أن الجمهورية العربية المتحدة أكثر تعرضاً من إسرائيل لقصف استراتيجي بالأسلحة البعيدة المدى، وبمعنى آخر فإن الظروف الحالية تمكن إسرائيل من تنظيم قواتها بطريقة تستطيع بها أن تتفادى أي ضربة مفاجئة من الدول العربية المجاورة.

## تطور الاستراتيجية والتكتيك بعد تحقيقات يونيو 1967:

ويبدو أن الاستراتيجية الإسرائيلية بعد التحسن الواضح في وضع إسرائيل الاستراتيجي نتيجة حرب الأيام الستة، أيقنوا أنهم بحاجة إلى بعض التعديل في استراتيجيتهم وتكتيكاتهم وتسليحهم بما يتفق والظروف الجيدة، حتى لا تكون فترة التوقف في العمليات والتغيير في التكتيك وفي ميدان العمليات من العوامل التي تمكن الخصم من استعادة المبادأة والاستفادة من بعض نواحي القصور نتيجة الأوضاع الجديدة، مثل اتساع ميدان العمليات، وتشبث القوات في أماكن بعيدة، وطول خطوط المواصلات واحتمال استخدام الخصم لا ستراتيجية الا قتراب غير المباشر، خصوصاً أنهم لا زالوا يعملون على خطوط مواصلات داخلية... الخ. لذلك فهم يركزون حالياً على النقاط التالية:

- التركيز على تعاون الأسلحة الدفاعية مع الأسلحة الهجومية، وذلك بتحسين شبكة التحصينات وخاصة المستعمرات، التسليح المضاد للمدرعات والمضاد للدبابات وكذلك ترتيبات الدفاع المدني، الإكثار من إقامة المخابئ وتحصينها لتكون قادرة على الصمود ضد قنابل النابالم والأسلحة الكيماوية، والاهتمام بصفة عامة بنواحي ومناطق الضعف لتكون ذات قوة ذاتية لمواجهة أي عمليات اختراق.

- الاهتمام بزيادة قوة السلاح الجوي من ناحية والكم والكيف، حتى تكون سلاحاً تكتيكياً متعدد الأغراض، قادراً على العمل في النهار والليل في مجهود مستمر لتحسين مدى المناورات العملية للطائرات المهاجمة في ضربها أهداف أرضية وبحرية، وذلك لمواجهة تفوق الجمهورية العربية المتحدة في القوات العربية ولتأمين حرية الملاحة الإسرائيلية وإعطاء أهمية للنقل الجوي الفجائية بالإضافة إلى الأساليب التي اتبعت بشكل ناجح في حرب الأيام الستة.

- أهمية تدعيم سلاح المدرعات باعتباره العامل الحاسم في كسب المعركة البرية وتزويده بأحدث المعدات الحديثة ليكون سلاح المدرعات قوة تستطيع الحرب لعدة أغراض وفقاً لظروف المعركة نتيجة لظروف الأرض والوقت والمنطقة ووسائل القتال المعادية. كما تعطي أهمية خاصة لسلاح المشاة وتزويده بالآليات ليصبح ذو قدرة حركة واقتحام عالية ويستطيع التحرك بمعدل تحرك المدرعات ويتعاون معها في كافة مراحل القتال، مع الاستمرار في تدعيم سلاح المدفعية الذي يجب أن يكون هو الآخر مبنياً على مدفعية محمولة أساساً، كذلك استمرار تدعيم سلاح المظلات كقوة مشاة ضاربة ممتازة مع تحسين وسائل الإنزال من البحر ومن الجو، خاصة بالنسبة للمعدات الثقيلة خلف الخطوط المعادية وتطوير سلاح المهندسين ليكون قادراً على اختراق الموانع الطبيعية او التي يقيمها الإنسان بسرعة عند الحاجة. وهي تعطي أهمية خاصة لقيام القوات البرية - بصفة عامة - بحرب دفاعية مصحوبة بأعمال هجومية بدون تغطية ومساعدة جوية.

- الاهتمام الزائد بوسائل إرسال قوات هجومية منقولة جواً دون الحاجة إلى وجود مطارات واسعة والمقصود بذلك هو إرسال قوات بطائرات الهليوكبتر، كما حدث في نجع حمادي وعملية مهاجمة مطار بيروت الدولي. وتركز إسرائيل على هذا النوع من الهجوم لتهديد الأماكن الحيوية في البلاد العربية المجاورة ولعمليات الإنزال خلف القوات المعادية وللاحظة قوات الفدائيين. وقد درب عدد

كبير من قوات المظلات لمثل هذا النوع من العمليات ومن المحتمل أن تستخدم إسرائيل هذا الأسلوب من القتال على نطاق واسع.

نظراً لضعف القوات البحرية الإسرائيلية بالنسبة للقوات البحرية العربية خصوصاً بعد المواجهة التي انتهت بإغراق المدمرة الإسرائيلية "إيلات" من قبل زوارق الصواريخ المصرية، ونظراً لامتداد الشواطئ الإسرائيلية وتعرض مناطق التجمعات السكانية والصناعية فيها للقصف بالصواريخ، واحتمال إنزال قوات برية من البحر على هذه الشواطئ، فإن إسرائيل تعمل على تطوير سلاح بحري سريع قادر على المناورة، مجهزاً بقوة نيران ومدى إصابة كبيرين، وقائم على قطع بحرية خفيفة ومتوسطة مسلحة بأحدث وسائل القتال الحديثة، بما في ذلك قوة معقولة من الغواصات المتوسطة السريعة، وتكون مهمة هذا السلاح البحري إبعاد السفن المعادية إلى ما وراء مرمى الإصابة المؤثرة لصواريخها ومدافعها، وأن يؤمن حرية الحركة للسفن الإسرائيلية في الخطوط البحرية وكذلك إمكانية القيام بعمليات إنزال لقوات برية صغيرة أو كبيرة على شواطئ العدو ويكون هدف مثل هذا الإنزال كجزء من عمليات حربية أو استخدامها في فترة "لا سلام ولا حرب" إلا أنه من الملاحظ أن قوات إسرائيل البحرية ليست قادرة على القيام بعمليات بحرية واسعة النطاق. ولكن لا يجب استبعاد تكليفها ببعض العمليات الخاصة مثل إنزال بعض العناصر التخريبية على الشواطئ العربية لتحقيق أهداف محدودة.

من هنا يتضح لنا أهمية عنصر الأداة العسكرية في تحقيق الاستراتيجية الصهيونية، وقد أثبتت قدرته في حرب الأيام الستة. وأن العمل على زيادة قدرته وفعاليته يستحوذ على التفكير الصهيوني باعتبار أن المعركة لم تنته بعد إلى نتيجة حاسمة كما أنه أصبح عاملاً من عوامل تنفيذ الاستراتيجية الاستعمارية التي تعتمد على الحصول على مكاسب عن طريق الحرب المحدودة.

## العلم والتكنولوجيا:

يعتبر العلم والتكنولوجيا أحدث عناصر الاستراتيجية الصهيونية، فالتفوق في هذا المجال يمكن إسرائيل من التغلب على بعض نواحي الضعف في كيانها الاستراتيجي والبشري، مما يؤكد اهتمام إسرائيل بهذا العنصر من استراتيجيتها، ما تشير إليه احصائيات اليونسكو والاتحادات والوكالات العلمية الدولية وان العالم شهد خلال السنوات العشر الأخيرة (1955 – 1965 ) نشاطات علمية هامة من مؤتمرات دولية رسمية، وغير رسمية واجتماعات وحلقات وندوات ومعارض ودورات تدريبية في ميادين الأبحاث الذرية والفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والكهربائية والمناخية والمائية والمعدنية والجيولوجية، وكل ما يتعلق بهذه الأبحاث من مواضيع واختصاصات متعددة ومختلفة بلغ مجموعها 5502 حدثا علمياً، وقد شاركت الولايات المتحدة في أعمال 94 بالمائة من هذه الأحداث وإسرائيل 88 بالمائة وبريطانيا 86.5 بالمائة والمانيا الغربية 84 بالمائة وفرنسا 81 بالمائة والاتحاد السوفييتي 72 بالمائة، وهذا يعني أن إسرائيل شاركت في 4842 مؤتمراً واجماعاً من تلك التي جرت خلال (1955 – 1965) ، وأنها تأتي في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية. هذا عدا الوفود العلمية الأجنبية التي زارت إسرائيل للتدريب بموجب اتفاقات للمساعدة الفنية، حيث يقضي عشرات الطلبة من اليونان وقبرص والهند وغانا واثيوبيا وجنوب افريقيا وغيرها فترات تدريبية في مراكز البحث الإسرائيلية، وهكذا نجح العلماء الإسرائيليون في اجتذاب الفنيين والعلماء ولم يكتفوا بحضور المؤتمرات والندوات والاجتماعات الدولية، بل انهم دعوا إلى عقد مؤتمرات علمية مماثلة في إسرائيل نفسها، كما تهتم إسرائيل الدعوات المستمرة لكبار علماء العالم لزيارة المنشآت والمراكز العلمية بالإضافة إلى زيارات العلماء لها بمناسبة انعقاد المؤتمرات العلمية الدولية، ومن أبرز العلماء الذين زاروا إسرائيل في السنين الأخيرة العالم الراحل د. "روبرت روبنهايمر" والدكتور "ادوارد تيلفر" عالم الذرة

الأمريكي المعروف بأبي القنبلة الهيدروجينية، والبروفيسور "بافيل بتراك" البريطاني "أستاذ الفيزياء الذرية في جامعة كمبردج" علاوة على عدد كبير من كبار علماء الفيزياء في العالم الحاصلين على جائزة "نوبل".

كما تولي إسرائيل أهمية خاصة لبرنامج الترجمات العلمية حيث يتولى مترجمون متخصصون في ترجمة سيل متدفق من الأبحاث العلمية الواردة من الجامعات والمعاهد العلمية في الشرق والغرب إلى اللغة العبرية واللغات الأجنبية المختلفة، ووضع هذه الترجمات تحت تصرف العلماء الباحثين في شتى المعامل والمراكز والمعاهد والجامعات الإسرائيلية، كما يستفيد من هذه الترجمات أكثر من 80 بلداً في العالم منها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي.

## الأبحاث الذرية في إسرائيل:

تعتبر الطاقة الذرية من أهم الأبحاث التي تجري في إسرائيل حيث بدأت مؤسسة الطاقة الذرية الإسرائيلية نشاطها في 15 أغسطس 1948 أي بعد ظهور إسرائيل إلى حيز الوجود بثلاثة أشهر فقط، وتمتلك هذه المؤسسة حالياً أربع مفاعلات ذرية في "ريشون ليتسيون" وفي "ناحال سوريك" وفي "ديمونا" وفي "بني روبين" ويبلغ مجموع طاقة هذه المفاعلات 237 مليون وات حراري، وأهم هذه المفاعلات هو مفاعل "بني روبين" والذي بدأ العمل فيه في يناير 1966، والمعروف أن أعمال البناء لم تنته بعد وتشير التصميمات الخاصة به إلى أن طاقته ستكون في حدود 200 مليون وات حراري، والهدف منه إزالة ملوحة مياه البحر وإنتاج الطاقة الكهربائية وتتلخص مشاريع استغلال الطاقة الذرية وتطبيقاتها العملية بإسرائيل في النقاط الآتية، علاوة على الهدف الرئيسي، وهو الهدف العدواني المعروف:

- انتاج النظائر المشعة واستخدامها في الأبحاث المائية والزراعية والصناعية والطبيعية.
- إزالة ملوحة مياه البحر.
- انتاج الطاقة الكهربائية اللازمة للصناعة الإسرائيلية.
- استخدام القنبلة الذرية كوسيلة للنسف والحفر وشق القنوات والأنفاق.
- استخدام نظير الكربون -14 المشع في أبحاث التاريخ وقد نشأت الجامعة العبرية في القدس أحدث عمل علمي في العالم لهذه الغاية.

هذا ويرى بعض الخبراء نتيجة لبعض الحقائق والأرقام عن النشاط الذري داخل إسرائيل- وأهمها تناقض كميات "البلوتونيوم" المخزون لديها والتي حصلته عليها من مفاعل "ديمونا" وانشائها شبكة كبيرة لمراقبة الاشعاعات الذرية للحماية من آثارها الخطيرة تتألف من أكثر من 30 محطة رئيسية، وملاحظة بعض العلماء أن نسبة تركيز الاشعاعات في مياه البحر قد ارتفعت، وغيرها من الحقائق والأرقام- ان إسرائيل قد أجرت بالفعل تجربة نووية تحت سطح الأرض في أكتوبر 1968 إلا أنه لا خطر من ذلك- إذا كانت هذه التجربة قد تمت بالفعل- الا يستطيع عملاؤنا ملاحظة شيئاً من هذه التغييرات في أرصادهم للنشاط الإشعاعي في الماء والهواء والفضاء. وهذا قد يدعونا إلى ضرورة اتخاذ الاحتياطات الضرورية اللازمة لبناء شبكة من محطات المراقبة للاشعاعات النووية ومراكز الحماية ضد هذه الاشعاعات.

هذا ومن المعروف أن إسرائيل صرفت حوالي 244 مليون دولار على الأبحاث والدراسات والتجهيزات

من أجل صنع قنبلة ذرية.

## أهم الأبحاث العلمية:

لا تقتصر البحوث العلمية في إسرائيل على الناحية الذرية فقط، بل انها تمتد إلى نواح هامة أخرى يتوقف عليها تطوير إسرائيل الاقتصادي، أهمها البحث عن مصادر الطاقة الطبيعية مثل البترول والطاقة الكهربائية والطاقة الهوائية والطاقة الشمسية علاوة على البحوث التي تجري في مجالات الطب والزراعة والرياضيات والفضاء بهدف دراسة الأحوال الجوية والكيميائية والفيزياء ومختلف فروع العلوم الطبيعية، والأبحاث الخاصة بمصادر الثروة المعدنية خصوصاً بالنسبة للبحر الميت، كما تلعب البحوث العلمية دوراً بارزاً في مجال تطوير الأسلحة والمعدات العسكرية وقد ظهر أثر ذلك في معارك يونيو 1967.

إن التقدم العلمي والتكنولوجي في إسرائيل يشكل أخطارا كبيرة على الأ مة العربية وعلى الجمهورية العربية المتحدة بالذات، كما أنه يعتبر عنصراً هاماً من عناصر الاستراتيجية الصهيونية لتحقيق أهدافها، بتوازن مع كافة العناصر الأخرى التي تشكل هذه الاستراتيجية، وتمكنها من التغلب على بعض نواحي الضعف في إسرائيل - كما سبق القول - ولعل أبلغ الدروس التي يمكن أن نستخلصها من حرب يونيو 1967 أن صراعنا مع إسرائيل سيكون صراعاً علمياً مهما كانت أسلحة هذا الصراع وحيثما كانت مساحاته سواء في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والنفسية والإعلامية والقانونية إلى جانب المجال العسكري، وهذا يتطلب منا المعرفة التامة بحقيقة التقدم العلمي في إسرائيل وفي الوقت نفسه تعبئة طاقاتنا العلمية لمواجهة هذا التقدم، ولا شك أن ما ورد في هذا البحث كان عن إعطاء أحكام نهائية على مدى تقدم إسرائيل العلمي واخطار هذا التقدم فإن هذا الموضوع في حاجة إلى أبحاث مستقبلية من جانب المتخصصين في مثل هذه المجالات.

## عناصر السلام والأمن الإسرائيلي:

من العرض السابق لعناصر الاستراتيجية الصهيونية نلاحظ مدى التخطيط الدقيق لها مع التوافق التام فيما بينها ليجعلها دائماً في تصاعد مستمر، وبعد أن استطاعت إسرائيل أن تصل إلى هذه المرحلة من النجاح فإنها ترى أنه لا يجب عليها هذه المرة أن تكتفي بتسوية تقل عن معاهدة سلام مصحوبة بتسويات أمن متبادلة وفعالة وهي تتطلع إلى عقد معاهدات سلام وإقامة علاقات متبادلة وتعاون مع الدول العربية عن طريق الدول في مفاوضات مباشرة - سرية أو علنية - مع كل دولة عربية أو مع الدول العربية مجتمعة، وهي بهذا - وقد حققت أحد مراحل الاستراتيجية الصهيونية - في حاجة لفترة سلام لتستطيع استيعاب ما حققته من نصر والاستعداد لمرحلة أخرى جديدة، لذلك فهي تتمسك حالياً ببعض العناصر الأساسية لتحقيق أمنها حتى في حالة الوصول إلى حل سلمي أو سياسي للمشكلة وقد جاءت هذه العناصر على لسان "ايجال آلول" نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي، والتي تنحصر في ثلاثة عناصر أساسية هي:

أ- احتياجات أمن إسرائيل.

ب- الميل التاريخي للشعب اليهودي لأرض إسرائيل.

ج- الامكانيات السياسية.

ويحتوي كل عنصر من هذه العناصر على عدة نقاط هامة ومعقدة، وهي في حد ذاتها تلقي ضوءاً على

أهداف الاستراتيجية الصهيونية في المرحلة القادمة.

## أ- احتياجات أمن إسرائيل:

1. ان خطوط الهدنة عام 1949 ليست حدود أمن والانسحاب إليها يعتبر بمثابة الدخول في مصيدة استراتيجية، وأن كل من يطالب بالاستناد عليها حتى في نطاق معاهدات سلام فإنه يفرض على إسرائيل خطراً شديداً جداً. وقد حلت اتفاقيات وقف إطلاق النار محل اتفاقيات هدنة 1949، وأن خطوط وقف إطلاق النار أصبحت الآن هي الحدود الوحيدة التي تفصل بين إسرائيل وجيرانها وأنه لو استمرت اتفاقيات وقف إطلاق النار سارية المفعول لسنوات طويلة، فإن خط وقف إطلاق النار سوف يبقى هو الخط الفاصل الوحيد بين إسرائيل وجيرانها.
2. إن قرار مجلس الأمن الصادر في السابع من يونيو 1967 لم يشترط وقف إطلاق النار والعودة إلى خطوط الهدنة أو الجلاء عن أية أراض محتلة، وأن الاتحاد السوفييتي الذي لم يكن مرتاحا من الدعوة لوقف إطلاق نار غير مشروط بالانسحاب الإسرائيلي، لم يستخدم حق الفيتو على القرار.
3. إن أي انسحاب من الأراضي المحتلة قبل إجراء مفاوضات لن يؤدي إلى أي مفاوضات على الإطلاق، وحتى لو تمت هذه المفاوضات فإنها لن تؤدي إلى أية نتائج، وعلى ذلك فإن الانسحاب بدون شروط مثله مثل الدعوة لشن عدوان جديد على إسرائيل في ظروف أصعب بكثير من ظروف يونيو 1967.
4. إن الوجود الإسرائيلي في الأراضي المحتلة هو الأمل الوحيد لتحريك الحكومات العربية لإجراء مفاوضات، وانه من حق إسرائيل أن لا تضعف وضعها الجغرافي الاستراتيجي وإعادة الوضع الدفاعي الإسرائيلي إلى ما كان عليه سابقاً، لأنه أمر متعلق بحياتها، ويجب عليها أن تتمسك بحدود وقف إطلاق النار إلى أن تتحدد حدود أمن معترف بها - في نطاق اتفاقيات سلام - ترتكز على وضع طبوغرافي قوي، إذ أن اتفاقيات السلام في حد ذاتها ليست ضماناً للأمن.
5. إن نزع سلاح بعض الأراضي ليس حلاً، إذ لا ضمان لبقاء هذه الأراضي منزوعة السلاح، وأن نهاية نزع السلاح هو خرقه من أحد الاطراف في أول فرصة سانحة لذلك. كما أنه لا أمان لضمان طرف ثالث ضد خرق نزع سلاح بعض المناطق الحساسة من الناحية الاستراتيجية.
6. إن الوجود الإسرائيلي سواء كان مدنياً أو عسكرياً أو سياسياً في وضع جغرافي استراتيجي يضمن للدولة عمقاً جغرافياً ومواقع طبوغرافية مناسبة للدفاع هو الأساس لأمن إسرائيل. ولو أصبح الوجود الإسرائيلي مضموناً فمن الجائز السماح بنزع سلاح مناطق معينة كجزء من تسويات الأمن المتضمنة في معاهدة السلام.
7. إن الحدود الآمنة هي تلك الحدود السياسية التي ترتكز على عمق إقليمي وعقبات طبيعية مثل المياه، الجبال، الصحراء، وممرات ضيقة تحول دون تقدم جيوش برية مزودة بمدرعات وهي الحدود التي تمكن من اتخاذ وسائل الإنذار الفعالة ضد اقتراب طائرات معادية من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذه الحدود تستخدم كقواعد مناسبة للقيام بهجوم مضاد.

## ب- الجيل التاريخي للشعب اليهودي لأرض إسرائيل:

8. يجب التمسك بحق الشعب اليهودي التاريخي في أرضه التي عرفها التاريخ القديم كقيمة أدبية وقومية وسياسية، ولكن من الممكن التنازل عن بعض الأراضي في نطاق معاهدة سلام لكي يتحقق هدف أهم بكثير، ولكن لا يجب التخلي عن أرض طبقاً لمبدأ التنازل عن حق إسرائيل التاريخي في الأرض كلها. ويقرر "يجال آلون" في هذا المجال أن إسرائيل ليست ملزمة من الناحية القانونية والأدبية بالاعتراف بمطالبة حكومة الأردن بأية ملكية إقليمية غربي نهر الأردن، مستنداً في ذلك إلى عدم اعتراف دول العالم بما فيهم الدول العربية، بهذا الضم الذي تم عام 1951 ما عدا بريطانيا وباكستان، كما أنه يشير إلى أن ملكية مصر لشبه جزيرة سيناء مشكوك فيها من الناحية التاريخية، وأن صحراء سيناء تحتاج إلى تغييرات في حدودها تستلزمها متطلبات أمن إسرائيل. وهو يعني في ذلك ضرورة السيطرة على شمال شرق سيناء وشرم الشيخ كما يقرر أهمية السيطرة على هضبة الجولان بالنسبة لسوريا.

## ج- الإمكانيات السياسية:

9. يجب أن تظل سيطرة إسرائيل على عرب الضفة الغربية كيلا يصبحوا قوة عسكرية وسياسية لأي دولة معادية لإسرائيل ، ومن الممكن مساعدة العرب الذين يريدون أن يقيموا حكماً ذاتياً خاصاً بهم حيث لا يتدخل في الحياة الداخلية لدولة إسرائيل، كما لا تتدخل في الشؤون الداخلية لهذا الحكم العربي. وقد يكون من الضروري في هذه الحالة عقد اتفاقية بين دول إسرائيل والدول العربية (الضفة الغربية) للتعاون الاقتصادي والثقافي مع إبقاء شؤون الأمن الخارجي في أيدي إسرائيل. ومن الممكن أن تقوم روابط دينية وثقافية تجارية واجتماعية مع البلاد العربية الأخرى بشرط ألا تكون عامل إضرار بأمن إسرائيل.

10. إن عرب (إسرائيل) والمقصود بذلك الفلسطينيين إذا أرادوا أن يقيموا كياناً قومياً خاصاً بهم فإن ذلك يكون شرقي الأردن. وهذا لا يعني أن الضفة الشرقية بسكانها الأصليين ليست جزءاً من أرض إسرائيل الكاملة، وهذا يوضح النية المستقبلية لطرد العرب من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن.

11. من الضروري استمرار ضم مدينة (القدس) إلى إسرائيل لأهمية ذلك من النواحي الأدبية والقومية والسياسية والتاريخية.

12. من الضروري أن تضع إسرائيل العالم أمام الأمر الواقع، وعليها أن تتخذ سياسة تضمن التفوق الاستراتيجي لها حتى لو قل بذلك العطف والاهتمام نحوها سواء من الدول الكبرى أو الأمم المتحدة أو ا لرأي العام العالمي وهذا يوضح رفض إسرائيل أن يفرض عليها حل من قبل الدول الكبرى وأنه إذا كانت السياسة الإسرائيلية تمتنع حتى الآن عن تحديد حقائق نهائية بالنسبة لأمن إسرائيل، والإبقاء على مختلف الاحتمالات للحل الدائم، فإنه يجب على الأقل إقامة مستعمرات زراعية ودفاعية في نفس الأراضي التي تعتبر بمثابة ضرورة أمن لا يمكن التخلي عنها بأية شروط كانت، وهو يعني بذلك سهل الأردن الذي يرتكز أحد جانبية على النهر والجانب الآخر على الجبل، وشمال شرق سيناء وشرم الشيخ وهضبة الجولان. إن مثل هذا الا ستيطان المخطط والمحصن والمسلح لازم من أجل وجود دفاع محلي يعتبر جزء لا يتجزأ من الدفاع الإسرائيلي الكلي الذي يمكن الجيش الإسرائيلي - في حالة استئناف المعارك - من التفرغ لعمليات ذات قدرة فعالة - كما أنه من ناحية أخرى لا يمكن الانتصار في صراع سياسي في حالة عدم استئناف

المعارك حول مناطق معينة بدون خلق حقائق استيطانية. ويعتقد "يجال آلون" أن هذه الحقائق الاستيطانية وتعديلات الحدود لن تقف عقبة في طريق السلام، وأنه من الضروري البدء فوراً في إقامة وجود مدني وعسكري ويهودي في الأراضي التي ستقرر ضمها إلى سيادة دولة إسرائيل دون حاجة إلى عمل تشريعي معين لأن من حق إسرائيل الاستعداد للدفاع الذاتي ضد أي تهديدات متجددة، وهذا يوضح ما سبق بيانه من أن العمل الدبلوماسي والعمل الاستيطاني عملان متفاعلان وأن تفاعلهما المستمر هو الذي يدفع بالصهيونية في حركة متصاعدة وقد كان العمل الاستيطاني من أهم المسائل التي بحثت في مؤتمر زعماء المنظمات اليهودية والصهيونية في العالم الذي عقد في الفترة من 8-12 يناير 1969 بمدينة القدس وحضره مندوبون عن 40 منظمة يهودية في حوالي 20 دولة.

13. إن موقف إسرائيل الذي ينادي بالحل السلمي الكامل، لا يعني عدم الاستجابة لاتفاقيات جزئية. وفي نطاق هذه الاتفاقات الجزئية يأتي فتح قناة السويس أمام الملاحة الدولية بما فيها الملاحة الإسرائيلية والتعاون في حل مشكلة اللاجئين في إطار المنطقة، حيث أن مسؤولية حل هذه المشكلة كما يقول الإسرائيليون لا تقع على عاتق إسرائيل وحدها وخلق اتصالات تجارية لتسويق المنتجات، وخط مرور السياحة من دولة إلى أخرى - ويقصد بذلك زوار الأماكن المقدسة.

14. أهمية قيام علاقات سياسية واقتصادية بين إسرائيل والدول العربية في حالة الوصول إلى حلول دائمة، ويشير "إيجال آلون" في هذا المجال إلى أن لبنان يستطيع أن يتمتع بحركة سياحية إسرائيلية كبيرة، و بحق مرور السياح القادمين لزيارة الأماكن المقدسة بإسرائيل.

كما أن الأردن يمكنه الاستعانة بإسرائيل في إقامة مشاريع ري وكهرباء مشتركة وإعطاء حقوق الانتقال إلى شواطئ البحر الأبيض، ومشاريع سياحية مشتركة، ومصر قد تستطيع الحصول على فائدة من المعونة الفنية الإسرائيلية ومن المشاريع المشتركة لتنمية المصادر الطبيعية ومن توسيع الحركة السياحية المتبادلة، وسوريا أيضاً تستطيع أن تحصل على فائدة من إقامة علاقات مع إسرائيل إذ أن أسواق إسرائيل تستطيع أن تمتص جزء كبيراً من إنتاجها.

ولعل هذه الناحية الاقتصادية هي أهم النقاط التي ترتكز عليها إسرائيل وهي توضح أهمية المؤتمر التمهيدي للرأسماليين اليهود الذي عقد بالقدس في أغسطس 1967 وكذلك المؤتمر الذي عقد في إبريل 1968 في القدس أيضاً وحضره أكثر من ألف من الرأسماليين اليهود، والذي أعلنوا فيه أنهم يريدون أن يجعلوا من إسرائيل "سويسرا الشرق الأوسط" علاوة على عقد المؤتمر الصهيوني العالمي بالقدس في يونيو 1968 كما أن العروض الأمريكية المختلفة لتمويل مشروعات مشتركة كبرى في المنطقة مثل مشروع إنشاء قناة جديدة تصل بين البحر الأبيض والبحر الأحمر ومشاريع إنشاء مفاعلات ذرية لإزالة ملوحة مياه البحر وغيرها من المشاريع.

كل ذلك يوضح لنا مدى ارتباط الاستعمار الصهيوني بالاستعمار العالمي لتحقيق السيطرة الاقتصادية والسياسية على دول الشرق الأوسط وإفريقيا كما أنه يوضح من ناحية أخرى أهمية هذا العمل الاقتصادي في تحقيق استقرار سياسي بالمنطقة يخدم مصالح الدول الرأسمالية الكبرى، ويعيد دول هذه المنطقة إلى سابق تبعيتها للاستعمار ولكن بشكله الجديد وفي تقديري ان هذا العامل هو أهم عامل لضمان أمن إسرائيل واستمرارها وبدونه لن يتحقق الأمن الذي تنشده حتى لو استطاعت أن تخلق أو تحصل على كافة العوامل الأخرى السابق بيانها.

وهذا يؤكد لنا أن هذه الاستراتيجية الصهيونية بالتعاون مع الاستراتيجية الاستعمارية في هذه المرحلة هو تحقيق السيطرة الاقتصادية بالدرجة الأولى تمشياً مع سياسة الاستعمار وأساليبه الجديدة،

ثم يأتي بعد ذلك هدف التوسع عن طريق احتلال أراضي عربية جديدة، وهو ما عبّر عنه "ايجال آلون" عن الحق التاريخي للشعب اليهودي في أرض إسرائيل. ويتضح من عناصر السلام والأمن الإسرائيلي التي جاءت على لسان "إجال آلون" نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي أنها تمثل في الواقع أهداف الاستراتيجية الصهيونية. ان هذه المرحلة والمرحلة السابقة وهي تتفق في أهدافها وأسلوب تحقيقها مع عناصر الاستراتيجية السبعة فهي تؤكد أسلوب المرحلية في تحقيقها وتحتوي على عناصر الترغيب والترهيب والخداع والمراوغة التي تميز الدبلوماسية الصهيونية وتتضح بها مبادئ الواقعية والمرونة واللاتراجع ونية التصاعد في المستقبل وتبرز من خلالها الترابط الشديد بين الدبلوماسية والعمل الا ستيطاني وهما العملان اللذان ميزا الاستراتيجية منذ بدء الحركة الصهيونية.

هذا علاوة على ما تحاوله أجهزة الإعلام الصهيونية من إبراز أهمية السلام بين القومية العربية ""والقومية"" الصهيونية والتعاون فيما بينهما لمصلحة الجنس السامي في الوقت الذي تعمل فيه السياسة الصهيونية لتحطيم الفكرة القومية العربية وتفتيتها وقد تجد مثل هذه العروض صدى طبيعياً لدى بعض النفوس المريضة المتخاذلة التي ليست لها مقدرة على الصمود والنضال أو على الأقل بالنسبة للبعض الذين هم على غير وعي لأهداف الصهيونية العالمية وحركة واشراف حركة الاستعمار العالمي.

كل هذا لن يغير من حقيقة أن إسرائيل الراهنة ليست نهاية الطريق أو خاتمة العمل الصهيوني ، بل هي محطة على طريق الحركة الصهيونية ومرحلة من مراحلها. وأنه ما دامت إسرائيل قائمة فهي تظل وستظل في رغبة مستمرة وفي تأهب مستمر للوثوب أبعد مما هي الآن وقتا ومكاناً.

ومن هنا يتضح لنا أهمية امتداد المعركة لأن انهائها يؤدي إلى طمس حقيقة المشكلة الفلسطينية والتماس حلول جزئية من شأنها إبعاد الأمة العربية عن المشاركة في معركتها المصيرية وبالتالي تحقق بعض الأهداف في مخططات الصهيونية والاستعمار.

## وإنها لثورة حتى النصر

**الهوامش:** [1] "هما العقيدة الاستعمارية الاستيطانية التفريغية وجوهرها الكيان الصهيوني، والعقيدة الثورية والتحررية بأبعادها المختلفة وتمثلها الثورة الفلسطينية طليعة الأمة العربية في معركة النضال والتحرير".